

هَذَا نَبِيَّكَ يَا وَالدَّيْنِ

وَأَسْمَاءُ
عَلَى الْمَرْيَمِ
صَلَّى اللَّهُ

محمود محمد غريب

امام وخطيب جامع البنية ببغداد
والموجه الديني لشباب جامعة القاهرة
والحائز على كأس الازهر للخطابه ١٩٦٦

توزيع
دار الأنصار

٨١ من البستان فاصية شارع الجمهورية
عابدين - ت ٩٣٤٥٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وسلام على النبي
المصطفى :

أما بعد :

فهذه السطور ليست كتاباً في السيرة النبوية الشريفة ،
لأن مكتبة السيرة غنية ببهارها الزاخرة عن الندي .
ولسكنها دراسة في العقيدة الاسلامية تكمل الرسالة السابقة
، هذه عقيدتك يا ولدي ،

والتي تقبلها القراء قبولاً حسناً ، والحمد لله .

وقد حاولت - في هذه الرسالة - تحليل بعض الأحداث
بمقدار ما يثبت العقيدة ، ويدفع عنها أباطيل الطاعنين وشبهات
الحاقدين على نبي الاسلام وعلى دعوته .

إن العطاء الكبير - الذي قدمه نبي الاسلام ﷺ -



دور النبي

لا حدود له .

// جاء الحياة فأعطى ... وجاهد ... وأنفق .

// جعل غرم الدعوة عليه وعلى آل بيته وعلى المقربين من صحابته

// وجعل غنم الدعوة تركة مشاعة بين الناس .

// أنفق مال السيدة خديجة على الدعوة ،

// وأنفق مال عثمان بن عفان - صهره - على الدعوة .

// فلما شرعت الزكاة حرمها على نفسه وعلى آل بيته .

// وجعل من نفسه وأهله ميدانا لتطبيق ما يصعب على الناس

قبوله من أحكام الشريعة - فقد زوج زينب بنت جحش -

ابنة عمته - لزيد بن حارثة - العبد الذي تبناه - وما كان

في العرب أسرة تقبل مثل هذا الزواج . ولما طلقها زيد تزوجها

النبي - وهذا أمر في الشريعة أصعب على النفس - لأنها

مطلقة متبناه (١) .

(١) كان العرب يحرمون على الرجل أن يتزوج مطلقة

ابنه من التهنى - فلما ألقى الاسلام مسألة التهنى أجرى التجربة

الصعبة على النبي أولا .

وقد حرصت على عمق الفكرة ، وسهولة العرض ، وقوة
البرهان ، وأمانة النقل .

واقه أسأل أن ينفع بها وأن يجعلها في صحيفة عملي يوم
اللقاء . لأنه نعم المعطى ونعم المجيب .

محمود غريب

بغداد الكرخ - جامع ومعهد البنية

كتبت المقدمة في الروضة الشريفة

أمام قبر النبي ﷺ

الفصل الأول

حاجة العالم إلى الرسل .

إخفاق العقل البشري في محاولة إدراك ما وراء الطبيعة .

رسول الله تحول الأخلاق إلى سلوك عملي ، وتبليغ

شريعة الله .

إرسال الرسل يقطع حجة العباد على الله .

اللقاء الأول

عاد وائل إلى بيت الشيخ عارف بعد غيبة طويلة قضاهما في شمال العراق حيث جمال الطبيعة ، وبرودة الجو ، وعذوبة الماء .

عاش هناك بين أقوام عكست الطبيعة الجميلة أنفسهم عليهم ، فاستقام سلوكهم ، وصفت سرائرهم .

ودار الحديث في شوق بين الاستاذ وتلميذه ، وتذاكرا حلو الماضي ، وجمال الأيام .

* * *

وائل : حدثني كثيراً يا فضيلة الشيخ عن الإيمان بالله — من الناحية العقلية — .

وقلت لي : إن الإيمان بالله مسألة فطرية .

ولكن السؤال الذي يشغلني : لماذا أرسل الله الرسول ؟ لماذا

فرض الله علينا اتباع الأنبياء، مع أن الإسلام يحترم عقولنا؟
الشيخ : يا وائل : لإرسال الرسل نعمة عظيمة من الله .

أقد أرسلهم الله ليبلغوا الناس ما يصعب على العقل البشري
أن يصل إليه .

فالعقل البشري يا وائل مهمية لدراسة المادة ، وعمار
الأراض . وهذا مجاله .

فإذا حاول أن يخترق السكون ليدرك ما وراء المادة فقد
عرض نفسه للخطر .

العقل البشري — يا وائل — كراكب سفينة ، من حقه
أن يسير في داخلها كما يريد . ولكن إذا عزم على الخروج
من السفينة إلى الماء فقد عوض نفسه للهلاك .

وائل : لكن بعض الناس يجيد السباحة .

الشيخ : البحر أكبر منهم .

فنم الذين يجيدون السباحة يا وائل ؟

هل تعنى الفلاسفة ؟

وائل : نعم . . . لانهم اصحاب عقول كبيرة ، ويمكنهم ان يدرسوا ما وراء البحار .

اعنى بحار المقبيات ، ويمكنهم ان يصلوا الى الحقيقة وحدهم .

الشيخ : هؤلاء الفلاسفة . . .

فاذا يفعل بقية الناس ؟

طبعاً ليس كل الناس فلاسفة . . . يا وائل . . .
وائل : بقية الناس يتبعون الفلاسفة .

الشيخ : اردت ان تفر من الاتباع . . . فوقعت في الاتباع .
واسكنك تركت طريقاً مبدءاً آمناً ، وهو طريق الوحي .

وعزمت على السير في صحراء واسعة . .
ماؤها مراب ، وامانها خوف .

يا وائل .

السراب لا يروى الظمان .

وائل : تمنى أن انتاج الفلاسفة العقل سراب
الشيخ : فيما وراء الطبيعة كل فلسفة عقلية سراب .

التجربة تقول هذا . . .

هل سمعت عن أرسطو ؟

وائل : قرأت عنه . . . وقرأت له .

لأنه المعلم الأول .. وهو الذى وضع علم المنطق - الذى
يعصم الذهن من الخطأ فى الفكر - وقد توصل أرسطو
إلى الإيمان بالله عن طريق العقل ..

الشيخ : كل هذا صحيح .

ولكن أرسطو عندما أراد أن يخلق بعقله ما وراء
الطبيعة هوى منهجه ، وتهاافت ففكره .

أقد آمن بالله إيماناً رياضياً ، ليصل بهذا الإيمان إلى
تفسير عقلى للحركة الميكانيكية فى الكون .

فإيمانه بالله أشبه ما يسكون بالمعطيات الهندسية - التى
يمطها المدرس للتلاميذ ليتوصلوا بها إلى حل تمرين هندسى

فهو يفترض وجود الله ليحل بهذا الفرض لغز الحركة
الميكانيكية في الكون .

ولم يثبت وجود الله لإثباتاً برهانياً .

وائل : اللهم أنه توصل للحقيقة بطريق أو بآخر .
الشيخ : لا يا وائل . .

لم يصل أرسطو إلى الحقيقة .

لأنه تصور أن العالم قديم - لم يكن معدوماً ثم وجد -
وتصور أن الله لم يخلق العالم ، ولم يحرك فيه ساكناً .

وائل : في قصوره كيف وجد العالم ؟ وكيف تحرك ؟

الشيخ : يعتقد أرسطو أن الكون كان في حالة نخول ، ثم
رغب في الحركة فتحرك وحده . . .

وائل : « متعجباً »

هذه فلسفة أرسطو ؟ !

الكون قديم ١ - والله لم يخلق العالم ؟ . . . ولم يحرك ساكنه ؟

الشيخ : نعم يا وائل . . .

هذه فلسفة المعلم الأول .

يتصور أن الله كال مطلق ، والعمل - في تصورهِ - طالب لحدوث شيء ، والله غني عن الخلق .

وأرسطو يعتقد أن الله - كما إنه لم يخلق شيئاً - فهو أيضاً لا إرادة له .

لأن الإرادة - في تصورهِ - اختيار أمر من أمرين ، والله غني عن الأمرين .

أرسطو يتصور أن الله ~~يحيى~~ سعيداً بنعمة بقائه فقط ،

لا علم له بالكون ، ولا سلطان له عليه .

وائل : أرسطو ١١٩

الشيخ : إنه بشر . . . وعقل البشر مهني . لدراسة المادة فقط لأن فيها حياته .

عبادة لليونان - يا وائل - آمنوا بأله متعددة - وهم
أرقى الشعوب حضارة فكرية -

إله للخير ، وإله للشر ، وإله للطار ، و . . . و . . .

حتى الخمر . . جعلوا لها إلهاً .

وكانوا يحتفلون بولد إله الخمر عند ظهور العنب ،

ويقيمون المآتم عندما ينتهي موسم العنب .

وكانوا يمتدحون أن أكثرهم طاعة لإله الخمر هو أكثرهم

إدماًناً لشرب الخمر .

هذه حقيقة العقل البشري ، وهذا إنتاج الفلسفة في عصر

الحضارة اليونانية .

فكيف بمصور الظلام ؟

يدخل هشام ولد الشيخ عارف بطبق فيه عنب .

فيضعكون جميعاً ، وينشغلون بالطعام .

اللقاء الثاني

وائل : كنت أعتقد أن العقل البشري هو كل شيء .
عارف : كل من في سنك يرى عقله وعلمه .
فإذا تقدم به السن يدرك الحقيقة، فيتضاءل أمامه اليوم
ما رآه عظيما بالأمس .

العلم كالبحر ، من نزل في أوله يتصور أنه يمكنه أن
يمبره بأمان ، ولكن كلما بعد عن الشاطئ يدرك ضعفه
ويشعر بعمق البحر .
والدنيا بحاجة إلى قوة الشباب ، وحكمة الشيوخ .
وهناك أسباب أخرى لإرسال الرسل .

وائل : لا أظنك تبخل علينا يا فضيلة الشيخ .
عارف : هل تصلح الدنيا بلا أخلاق ؟
وائل : لا

فالأخلاق أمان للمجتمع ، ثمّارها حب ، وغايتها سعادة .

إنّما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هـموا ذهبـت أخلاقهم ذهبوا

عارف ~~ب~~ الأنبياء وحدهم هم الذين يستطيعون وضع قانون أخلاقي كامل . ويعملون على تحويله إلى سلوك .

فدور الأنبياء لا يقف على تعليم الناس قضية الحلال والحرام ولكنه يتعدى هذا الأمر إلى أمر أجل - وهو تحويل الأخلاق من فكرة نظرية إلى سلوك عملي .

ولولا الأنبياء لأصبحت الأخلاق مجرد شعارات جوفاء وأناشيد تردد في الصباح والمساء .

لقد كان النبي صلى الله عليه وآله - قرآناً - يمشى بين الناس .

كان يهـدى بفعله كما يهـدى بقوله . حتى كان فعله نموذجاً حياً للإسلام ، وكان فعله تصديقاً لقوله ، لأن الانفصال الذي يقع بين الفعل والقول يبطل الدعوة إلى الخير ، وينهب أثرها .

الإسلام - يا وائل - لا يعرف الأخلاق النظرية ولا يقبل
انفصال الكلمة عن الفعل . قال تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون » ؟
كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »

وكان النبي يقدر هذا ويعلم أنه أسوة للمسلمين ، ويعلم أن
أفعاله حجة وأنه منظور إليه لذلك كان يتجنب مواطن
الشبه .

فقد مرّ عليه رجلان وهو يتحدث مع زوجته السيدة
صفية في المسجد ليلاً ، فأسرعا ..
فقال لها النبي : على رسلكما .. لأنها صفية زوجتي .

ثم قال : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .
خفت أن يقذف في قلبكما شيئاً .

رواه البخاري

* * *

كان للنبى يحول الأخلاق إلى سلوك عملي ، ويضع القدوة للناس .

كان رحيمًا بأمته ليعلمهم الرحمة ، فقد كان يشمر بألمها ، ويشق عليه ما يشق عليها .

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، فعتبتم يشق عليه .
آخر التوبة »

وكان يدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يفرض على أمته . أو خشية أن يقلده الناس فيصدق ذلك عليهم . بل كان ينههم عن بعض الأعمال التي يعملها هو - كصوم الوصال (١) رحمة بهم .

وقد استطاع - ﷺ - أن يحول قاموس الأخلاق إلى مجتمع أخلاقي ، فافت واقعيته مثالية الفلاسفة .

(١) صوم الوصال - هو أن يواصل الصوم أكثر من يوم بدون إفطار - وكان النبي يصومه . ونهى أمته عنه وقال لهم : « أبيت يطعمني ربي ويسقيني » .

وائل : لكن الضمير الأخلاقي منهج سليم ، وهو نظري في
النفوس ، فهل يكفي لتفويج السلوك ؟

طارف : الضمير الأخلاقي ، والدعوة إلى الاكتفاء به ، فكرة
ابتدعها علماء الغرب لتحل مكان الدين في نفوس الشباب
بعد أن عارت أوروبا على الكنيسة ، وأهانوا سلطانها
من النفوس .

وهذا لا يمنع أن الإسلام عرف هذا النداء الداخلي في
الإنسان منذ عهد الوحي ، وسماه القرآن والنفوس اللوامة ،
وأقسم بها الله - سبحانه - تكريماً .

ولكن الضمير الأخلاقي لا يعني أبداً الاستغناء عن دعوة
الرسول - عليهم السلام -

لأن الضمير - يا وائل - يتأثر بالبيئة التي يتربى فيها .

ولون الثقافة التي يجمعها الإنسان .

والمذهب الاقتصادي والاجتماعي الذي ينتمي إليه .

فالرجل المسلم كم يشعر بالسعادة عندما يقسم تركه ميت
حسب الشريعة الإسلامية .

يعطى كل مصاب بالميت ما يعزیه ويسد بعض
حاجته .

بينما يتألم الرجل الشيوعي عندما يرى تقسيم التركة ،
لأنه لا يؤمن بالميراث ، ويراها تفتيتاً للتركة . (١)

فالضمير يختلف باختلاف المذهب الاقتصادي والاجتماعي
كما يختلف بالعقيدة التي يؤمن بها صاحبه .

والرجل للمسلم يذوب من الأسي عندما يذكر يوماً
انحرف فيه وشرب كأساً من الخمر ...

بينما لا يتحرك ضمير رجل الغرب لو شرب خمر
الدنيا كلها .

(١) الإسلام عندما يفتت تركه الميت على الورثة فإنه يدفع
كل وارث للعمل ليعيد تكوين تركه تسد فراغه ،
فهو دعوة للعمل والإنتاج .

فالضمير لا يكفي لوضع منهج أخلاقي ثابت ، لأن
الضمير لشكله باللون الذي نرتاح له .
فبمقدار حاجة الدنيا إلى الأخلاق تتجلى حاجتها
لدعوة الوصل .



والناس - يا وائل - بحاجة إلى شريعة الله ، كما جرت
إلى رزقه .

لأن النفس الإنسانية متعددة المملكات ، متعسبة
الغرائز ولا يستطيع البشر أن يضع لها تشريعاً يشبع
كل مملكتها . فمقدار حاجة الناس إلى قانون ثابت
يحكمهم ، ويشبع كل جوانبهم النفسية ، تراهم بحاجة إلى
شريعة الله .

وتجارب التشريعات الأرضية تثبت أن التشريع
الذي يصلح لليوم لا يصلح لغد .

لأن المشرع - من الناس - يعلم ماضى ولا يعلم المستقبل .
فكيف يضع تشريعاً لحل مشا كل الغد - وهو لا علم له بها ؟

كما أنه يضع القانون للجماعة التي تحيط به فقط ، لأن
ما يصلح لرجل الشرق لا يصلح لرجل الغرب ، وهذا
يتناقى مع إقامة مجتمع عالمي يعيش في سلام .

ولا يفوتني أن أذكر لك فارقاً آخر ، وهو أن التشريع
لأرضي يوضع لحكم الناس فقط .
أما شريعة الله فتهدف إلى تربية النفوس وتساميها ،
مع دورها في حكمهم وتأديبهم .

فالمسلم لا يسرق ولو أمن من قطع اليد . لأن الشريعة
مزجت بين المحرمات وبين الخوف من الله . مزجت
بين قطع اليد وبين النكال من الله .

قال تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما
كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . (٣٨٥ المائدة ،
فلو نجا من القطع فلن ينجو من النكال .

والمقارنة بنهر الشريعة والقانون تعني المقارنة بين حارس
مسلح ، وبين نصب يضعه الفلاح في الحقل على صورة
رجل لتخافه الطيور فلا تسقط على الحبوب .

فالناس بحاجة إلى شريعة الله بمقدار حاجتهم إلى شريعة
عالمية المساحة ، خالدة الثبوت ، حية العطاء ، مؤدبة
وحاكمة .

وآل : كنا نعتقد أن العقل البشرى كل شيء . . . وكنا نتصور
أن الشريعة جاءت لفترة ثم أتت أكلها واستغنى الناس
عنها . . فما أحوجنا إلى منهج السماء .

* * *

عارف ، هناك سبب رابع لإرسال الرسل :

وهو تطبيق عدل الله ورحمته بالناس .
إن الله لا يسوى بين الطائع والمعاصي ولا بين أهل الخير
والأشرار .

ولو حاسب الناس في محكمة العدل المطلق - من غير أن
يرسل إليهم رسلا لكان للناس حق الاعتراض .

وكان من حقهم أن يقولوا : ربنا لولا أرسلناك إلينا
رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونغزى ، ١٣١ طه

وائل : هذا صحيح ... فلا جريمة بلا نص .

عارف : من أجل ذلك أرسل الله الرسل ليقطع حجج الناس .
« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل »
١٦٥ النساء

وائل : لا حجة لنا على الله .

فالرسل شهود علينا ، وكتاب الله بيننا ، ومع ذلك فإله
قد أحترم عقولنا ، لأن الرسل لم تحرم شيئاً يقول العقل
لأنه حلال ، ولم تحل شيئاً يقول العقل لأنه حرام .

آمنت أن تقليد الأنبياء عصمة من الضلال ، ومنهجهم
سلامة من الزيغ . وأستودعك الله على أمل اللقاء .

الفصلُ الثاني

- حاجة العالم الإسلامي في القرن السادس الميلادي
الفرس : الهدى في غير معابدهم .
الروم : تروّعت النصرانية . ولم يتنصر الرومان .
اليهود : حملوا التوراة ثم لم يحملوها .
العرب : حاجتهم للرسالة تعدل حاجة العالم كله .

في صباح يوم من أيام الربيع جلس الشيخ عارف بعد
صلاة الصبح يرثل بعض آيات القرآن . بينما انشغلت
بمساجدة ، زوجته بأعداد الطعام .

وطرق الباب طارق من الجزيرة ، تنازلوا جميعاً ، ودار
حلو الكلام .

• * •

الشيخ : كيف حال الناس في الجزيرة يا شيخ سرحان ؟
سرحان : الحمد لله . نزل الغيث من بعدما قنطوا ، ونشر
الله رحمته .

الشيخ : هذه سنة الله في السكون .

المطر يأتي بعد الظمأ ، والنصر بعد العسر ، والفرج بعد
الكرب

كل هذه نماذج للرحمة الخاصة . . .

أما الرحمة العامة - التي أشرق نورها بعد طول الظلام
فهو محمد - ﷺ -

أفقد عاش العالم قرونا طويلة يبحث عن النور .

فأدارس للتاريخ - يا شيخ سرحان - يرى أن القرن
السادس الميلادي ومطلع القرن السابع كان الظلام قد
وصل فيهما إلى كل بقعة في الأرض - وضمف نور
الاديان السماوية فلم تستطع أن تهب الناس هديا
على الطريق .

سرحان : الفرس كانت تعبد النار ، واستولى رهبانها على أرواق
الناس بما جعل عقلاء الشباب يفرج منها ويبحث عن
الهدى في غير معابدها كسلمان الفارسي - رضى الله عنه .

سرحان : فاذا عن الروم يا شيخ عارف ؟

عارف : الروم دخلت الديانة النصرانية وهي محملة بأوزار
الوثنية ، وعقائدها الفاسدة ، والاتناء القذر لو وضعنا
فيه حليباً يفسد الحليب ، فاستطاعت الروم أن تروم
النصرانية ، ولم تستطع النصرانية أن تنهر الروم .

ولو درست مجتمع (نيقية) الذي عقد في عام ٣٢٥ للمعالجة

الخلافات التي ظهرت في الديانة النصرانية بسبب دخول
طوائف وثنية من الرومان واليونان والمصريين فيها .

وقد ناقش هذا المجمع قضية الوهية السيد المسيح ، وبعد
صراع طويل يمكن أن تقرأه في كتب تاريخ الرومان .

استطاع المجمع أن يتخذ أول قرار بالوهية المسيح بعد أن
كانت المسيحية ديانة توحيد لمدة ٢٢٥ سنة .

* * *

وفي عام ٣٨١ اتخذ القرار الثاني بالوهية روح القدس في
المجمع القسطنطيني وأصبحت الآلهة ثلاثاً بعد أن كان المسيح
يُدعى إلى التوحيد الخاص .

فالديانة النصرانية الجديدة لم يصبح لديها من القدرة
ما تظن به الناس الطريق .

راجع محاضرات في النصرانية لأستاذنا الكبير (محمد
أبو زهرة) ص ١٢٩ ، ص ١٥١ .

اليهود :

حلوا التوراة . . . ثم لم يحصلوها .

كافروا بتوصيل النور إلى الناس فاطفأوا مصابيح قلوبهم ، فإذا يمكن أن يقدموا للناس ؟

حرفوا من دينهم ما لا يتفق مع مصالحهم الوظيفية .
وشوهوا صورة أصحاب الرسالات - من الأنبياء الكرام - ليطلوا جانب الأسوة والمثل الأعلى .

كاجعلوا البيع مثل الربا ، وفر رجال الدين من معايهم ليسيروا في الركب الماهى بمد أن فلتت القيادة من أيديهم .

ولم يبق لهم من دين الله إلا شعارات كاذبة استباحوا بها دماء الناس وأموالهم .

فاليهودية أيضاً عجوت عن مد العالم بشماع من نور الله .

• • •

سرحان : والعرب يا شبيخ عارف ؟
لمذا لم تتكلم عنهم ؟

عارف : العرب حجبهم عن الهدى السماوي البعد المسحيق بين
ابراهيم - عليه السلام - وبين محمد ﷺ - والذي يقدر
بآلاف السنين .

سرحان : لكن سلسلة من الانبياء بشرا في وسط هذه المدة
موسى وداود وسليمان وهيسى وغيرهم .

عارف : هؤلاء جميعاً بعثوا لبني اسرائيل فقط .
فدعوتهم خاصة بأقوامهم .

و إذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوني وقد تعملون
أني رسول الله إليكم ،
ه الصف

فرسالة موسى لقومه فقط - وكذلك رسالة المسيح :
و إذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله
إليكم ،
٦ الصف

أما العرب فقتل عنهم القرآن : و لتنذروا قوما ما أتاكم

من نذير من قبلك ، ٤٦ القصص

لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ، ٦ ياسين

لقد كانت الأمة العربية أسوأ العالم حالا ، وأحوجه إلى رسول .

لقد عبدوا الحجر ، وأكلوا القذر ، وسفكوا الدماء ،
ووأدوا البنات ، ولعب الخمر بعقولهم ، فاستعبدوا
الأحرار ، وأكلوا القمار ، واستباحوا الربا ، فماذا
بقي لهم ؟

يا شيوخ سرحان : لقد كان العالم كله بحاجة إلى نبي يخلصه
من الضلال ، وينقذه من الهاوية .

وكانت حاجة الأمة العربية وحدها كانت تعدل حاجة
العالم كله . فمن الناحية الدينية :

سجد الإنسان للصنم - الذي صنعه بيده ، وطلب منه
جلب الخير ودفع الضر ، مع أن الأبواب إن يسلب آلتهم
شيئاً لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب .

سرحان : وأين ما ورثوه من دين إبراهيم ؟
حارف : لم يبق منه سوى بعض الشعائر - لأن خلت من الروح
وأفسدتها البدع .

وحسبك أن تعلم أن الحج تحول إلى تعظيم للأصنام ،
وإن الطواف بالبيت كان يتم وهم عرايا .

الدياب عرايا ، والنساء عاريات ، وتحولت التلبية إلى
تصفيق وتصفير . وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء
وتصدية . . .

كيف تصفو الروح في جو من التصفيق والخمر والنساء للعاريات ؟

• • •

والجانب الاقتصادي لا يقل سوءاً عن الجانب الديني .

لقد جاور العرب اليهود ففعلوا منهم الربا . وبالغوا فيه
فأكلوه أضغافاً مضاعفة حتى كان المدين يباع مع أته حر وذلك
من أجل سداد دينه .

ونشأ عن سوء الأحوال الاقتصادية عملية الإغارة على الأمنيين
وسلب أموالهم ، واستعباد ضعفانهم .

وفي جو الرعب والقلق تنشر الخمر التماسا للمعينة، ولكنها
علاج للداء بالداء . فقد قلبت موازين الأمور وهونت الفجاءة
على النفوس فظهرت تهاوة الجسد .

روى أن جماعة سقوا امرأة خمرأ فلما لعبت الخمر برأسها
سألتهم : أتشرب نساؤكم من هذا الشراب ؟

قالوا : نعم .

قالت المرأة : والله إن أحدكم لا يدري من أبوه . إن الخمر
تحسن القبيح وتفسح الحسن .

قال أبو النعمان :

اسقني صرفا حميا ترك الشيخ صبيا

وتريه الفى رشداً وتريه الرشداً غياً

ففساد العقيدة دفعهم إلى الربا .

وهموم الربا دفعتهم إلى الخمر .

وإدمان الخمر جر عليهم الباقى من البلاء .

لذلك كان كل شيء يؤكد الحاجة إلى نبي جديد .

الفصل الثالث

- العالم بحاجة إلى نبي .
- الكتب المقدسة وتبشيرها بهذا النبي .
- أخلاق محمد - ﷺ - ترشده لأمر عظيم .
- السيدة خديجة استدلّت بأخلاق النبي على نبوته .
- هرقل : لو كنت عنده لفسلت عن قدميه .

هشام : كنت استمع إلى القرآن الكريم هوقفت عند قوله
تعالى للنبى - ^{صلى الله} ^{عليه} ^{وسلم} - وإذك لعلى خا عظيم .
لماذا لم يقل القرآن : إن خالقك لعظيم .
الأب : كلمة (على) تفيد الاستعلاء والتمكن .
فيكأن النبى تمسكن من الأخلاق كما يتمكن الفارس من
الفرس .

وهو يحكمها بفطرته ، بينما الأخلاق تحكم غيره من الناس
لأن النبى تبدأ كالاته النفسية من حيث ينتهى قانون الأخلاق .
هشام : تعنى - يا أبى - أن النبى يوجه الأخلاق إلى حيث
يريد ؟

الأب : أجل يا هشام .

لقد ابتدأ النبى رحلته الأخلاقية من حيث انتهت المكارم
الإنسانية ، وذلك ليتمم مكارم الأخلاق :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »
هشام : لكننى أعلم أن كل نبى على خلق عظيم .

فكيف يتسم النبي مكارم الأخلاق؟

الآب : لقد عدت مدة طويلة لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال ، حتى فتح الله علي بفهم للوضوع أشرحه لك .

• • •

السيد المسيح - عليه السلام - طالج قضية الأخلاق واهتم بها . ورسم منهاجاً تهذيب أتباعه فقال لهم :

أحبوا أعداءكم . وباركوا لأعدائكم ؛ وأحسنوا إلى مبغضتكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم .

إنجيل متى / ٥ / ٤٤

وقال : وإذا ضربك رجل على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر .

وهذه الوصايا خلق عظيم ، ولما كنا أخلاق مثالية وليست أخلاقاً واقعية . . . لأن كثيراً من الناس لا يقوى على تنفيذها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ليس كل الناس بدرجة واحدة من السموات عليهم يستحون ويرتعدون لو أدرنا لهم الخد الأيسر . هناك بعض النفوس لو أكرمتها ملكتها .

وإن عفت عنها كان عفوك عن خطيئهم أشد عليهم من السياط

وإلكن هناك بعض النفوس إن أكرمتها فسدت ، وإن
عفرت عنها طمعت فيك ، وإن رفعتهم إلى السماء سدوا باب
السماء عنك ، وهذا الصنف الحقير لا يصلحه أن تدير له الخد
الأيسر كما قال السيد المسيح ، بل يصلحه أن تؤذيه .

يحكى في الأدب الرمزي — أن رجلا اشترى صنما وعذف
على عبادته ، وترك تجارته وزراعتة .

فلما أصابه الفقر ، وضائق به الحياة ، قام على الصنم فدق
رأسه وهشما .

// فلما كسر رأس الصنم وجد به كزامن الذهب أودعه فيه أحد
ناس ثم مات .

فقال الرجل لصنمه :

// ما الأماك . . أكرمتك فأفقرتني ، وحطمتك فأغنيتني ؟
هذا الطراز الحقير من النفوس لا يصلح معها ، ولا يصلحها
قانون المثالية .

ولكن يصلح معها بل ويصلحها قانون العدل .

يصلح معها قوله تعالى : وإن عاقبتم فاعقبوا بمثل ما عوقبتم به . وإن صبرتم هو خير للصابرين ، ١٢٦ النحل

وقوله تعالى : ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، ٤١ الشورى

فالإسلام جعل القصاص من الظالم - بالطريقة المشروعة - لون من الأخلاق ، مع عدم إهماله الترغيب في العفو .

فن عرفنا أن العفو يصلح نفسه ويهديها فالعفو عنه أفضل . ومن عرفنا صفاقة وجهه ، وقبح صبرته - من الذين يفهمون أن العفو عنهم ضعف أو خوف منهم - فالعدل معهم أفضل ، وربما يجرم القصاص .

فالإسلام حول الأخلاق من مثالية فلسفية ، إلى واقعية

عملية لتشمل كل الناس ، وتعالج ضغاف النفوس .

وهذا معنى كون النبي - ﷺ - بمكة ليعتم مكارم الأخلاق

فقد وسع دأرائها ، وعم عطاها .

يا هشام . . هذه الآية الكريمة « وإنك لعلى خان عظيم »

تعتبر أصلاً كريماً من أصول الدين .

إنها تؤكد صدق نبوة محمد - ﷺ -

إنها ليست مجرد امتداح لأخلاق النبي . .

ولكنها نزلت في الأيام الأولى من الوحي لتسوق دليلاً

عقياً على نبوة محمد ﷺ .

بل لعل هذه الآية هي أول دليل ساقه القرآن إلى العقل

البشرى لإثبات صدق النبي . فقد نزلت بعد سورة المزمل -

أى في الأيام الأولى من الوحي .

هشام : ما علاقة الآية للكرامة بإثبات نبوة سيدنا محمد ؟

الاب : الأمر سهل . إن شاء الله .

الآية تقول للشركين : أنتم تعرفون محمداً قبل يوم ، اقرأ

باسم ربك ،

وتعرفون أنه على خلق عظيم - بشهادتكم له قبل الرسالة -

وأول ما تفرضه عليه أخلاقه العظيمة أن يكون صادقاً . وأنتم

شهدتم له بالصدق - بل سمعتموه صادقاً .

و" صادق إذا أخبركم باصطفاء الله له لما إذا تكذبونه ؟

لقد تناقضتم مع أنفسكم . عندما كذبتم محمداً .

مهمام : أظنك يا والدي أول من استدل بأخلاق النبي
على نبوته ؟

الآب : لا يا مهمام .

لقد استدلك السيدة خديجة - رضي الله عنها - بأخلاق
النبي على نبوته .

فمنذما نزل الوحي لأول مرة على النبي - ﷺ -

ذهب النبي إلى خديجة خاتماً يقول لها :

زميليني وذرني . . .

فلما ذهب عنه الروح قال لخديجة : لقد خفت على نفسي .
وهنا تجلي ذكاء السيدة خديجة ، ودار بخلد ما على النبي الطويل
- الذي عاشته معه - وأخلاقه الفريفة - التي لمستها عن قرب -
بل التي كانت سهياً في زواجها منه .

عند ذلك قالت له : أبهر فؤادك أن ينزلك الله أبداً .

لأنك اتصل الرحم . . .

وتصدق الحديث . . .

وتحمل الكل ..
وتكسب المعدوم ..
وتقرى الضيف ..
وتعين على نوائب الدهر

مقدمات ثابتة توصلت بها إلى البشارة الصادقة ، لن يحزبك
الله أبداً .

وقدمت البشارة على المقدمات لتسهيل البشري .
أو هو الاستدلال العقلي الراجح بأحد - لاقه الشريفه على
إكرام الله له .

فالسيدة خديجة هي أول من استدلت بأخلاق النبي - ﷺ -
على نبوته .

* * *

ومن الذين استدلوا بأخلاق النبي على نبوته أيضاً دهرقل ،
ملك الروم -

مشام : وماذا كان من أمر هرقل ؟

الاب : زار أبو سفيان بن حرب الشام - قبل استلامه -
واستضافه هرقل ، وسأله عن النبي الذي ظهر في بلاد العرب .

هرقل : هل كان ابن ملك ؟

أبو سفيان : لا

هرقل : لو كان ابن ملك لقلنا إنه يريد أن يعيد ملك آبائه .
وسأل هرقل :

هل يكفر أحد أصحابه بعد أن يؤمن به ؟

أبو سفيان : لا ... لأنهم يزيدون دائماً ...

هرقل : هل كان يكذب في شبابه ؟

أبو سفيان : لا .. لقد اشتهر بالصدق الأمين .

هرقل : والله .. ما كان ليدع الكذب على الناس ثم يكذب

على الله . واثن كان ما تقول حقاً فهو نبي . وسوف يملك مكان

قدمي هاتين .

كنت أعلم أن نبياً سيظهر .. ولكن ما كنت أعلم أنه منكم

ولو كنت أعلم أن قومي يتركونني أذهب إليه لتجسست عناء

السفر لزيارته .

ولو كنت عنده لفضلت عن قدميه .

هشام : وهل أسلم هرقل - يا أبي - ؟

الأب : لا يا هشام . . .

لقد خشي ثورة الرومان - ومات على دينه .

* * *

هشام : ولكن كيف عرف هذه الأشياء ؟

الأب : هرقل كان نصرانياً ، وكان على علم بالكتب السماوية ،

وكان يعلم - نتيجة دراسته لهذه الكتب - أن نبياً سيظهر ، وأنه

سيرث الأرض ، وأنه خاتم النبيين .

هشام : هذا موجود في كتبهم ؟

الأب : وأكثر من هذا موجود في الكتاب المقدس ، ولكن

يد المترجمين لمبت دوراً خطيراً في طمس البشارات .

اقرأ يا هشام كتاب دةاندانا ، للدكتور محمد الصادق ،

وكتاب دةبوة محمد من الشك إلى اليقين ، للدكتور فاضل صالح

السامرائي ، وكتاب دةإظهار الحق ، للشايخ رحمة الله الهندي .

وكتاب هداية الحيارى من اليهود والنصارى ، للإمام ابن قيم
الجوزية ، وكتاب ه محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ،
للأستاذ إبراهيم خليل أحمد والتي أسلم وأصبح عضواً في مجمع
البحوث الإسلامية بعد أن كان قسيساً .

اقرأ - يا همام - فالكتاب أستاذ أمين

همام : فإن لم يصبرها وإبل فطل ..

الأب : أحسنت الطالب يا همام .

لقد بشرت النوراة بنبيها محمد ببشارات عديدة اختار لك
بشارة واحدة منها .

جاء في سفر التثنية إصحاح ١٨ قول الله لموسى عليه السلام :
أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم ، مثلك ، واجعل كلامي في فم
فيكلمهم بكل ما أوصيته به .

وواضح من هذه البشارة أن النبي الذي سيرسله الله ليس من
بنو إسرائيل لأنه لو كان من بني إسرائيل لقال الله لموسى : أقيم
لهم نبياً منهم .

وأبناء إسماعيل هم إخوة أبناء يعقوب وأبناء عمومتهم .
وفي البشارة إنه نبي مثل موسى - أي صاحب شريعة كشرعية موسى -

وهذا الوصف لم ينطبق على أحد بعد موسى إلا على محمد -
- **صلى الله عليه وسلم** - والتوراة تشهد بهذا في سفر التثنية لإصحاح ٢٤
فقول: ولم يبق بعد ذلك من بني إسرائيل مثل موسى .

// الوصف الثالث في البشارة أن النبي - **صلى الله عليه وسلم** - الذي سيرسله الله -
ينطق الكلام في فمه وذلك لأنه لا يقرأ وهذا (١) واضح في تبينا
محمد - **صلى الله عليه وسلم** -

أما الإنجيل فقد بشر بنبوة محمد **صلى الله عليه وسلم** . جاء في إنجيل يوحنا
أن السيد المسيح قال لتلاميذه .

أنا أسأل الأب (٢) فيمطيكم (بارقليط) آخر ليقم بينكم
إلى الأبد .

مشام : ماذا تعني كلمة (بارقليط) ؟

(١) راجع نبوة محمد للدكتور فاضل السامرائي ص ٢٥٢

(٢) الأب - بالمدكلمة يونانية معناها الخالق وليس معناها

الوالد لأن الأب بمعنى الوالد مقصورة وليست ممدودة .

الأب : يمكن أن تفهم معناها بتوسيع لو قرأت كتاب
رسول الله في السكتب السابوية ص ١٥٤ ، وكتاب قصص
الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار .

ولكن تحت يدي الآن حوار لطيف جرى بين الأستاذ
فتحى عثمان وبين الدكتور «كارلو» أستاذ الأدب اليونانى القديم:

فتحى : ما معنى كلمة «بارقليط» التى ذكرها الإنجيلي
- يا دكتور «كارلو» ؟

الدكتور : رجال الدين المسيحي يقولون : إن معناها
«المسلي أو المعزى»

فتحى : لكننى أسأل الدكتور «كارلو» أستاذ الأدب
اليونانى القديم ، فإذا تقول أنت . . ؟

الدكتور : أقول : بارقليط - ترجمتها - الذى له حمد كثير .

فتحى : يعنى معناها أفعال تفضيل من كلمة «الحمد» .

الدكتور : نعم . . . هى كذلك .

* * *

الاب : اذكر يا هشام افعل التفضيل من كلمة - علم وكرم
وحلم .

هشام : أعلم وأكرم وأحلم .

الاب : وافعل التفضيل من كلمة - حمد ، ؟

هشام : - احمد ،

الاب : كلمة - مارفليط ، ترجمتها الحرفية - احمد ، وهذا
سر عبارة القرآن الكريم على لسان عيسى - عليه السلام -
« ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » - الصف
وهذه دقة عجيبة في بشارة القرآن بمحمد صلى الله عليه وسلم - مع أن النبي
لم يدرس الانجيل ، ولم يدرس الترجمة .

هشام : لانه وحى السماء أشهد أن هذا القرآن من عند الله

ساجدة : أرهقت والدك يا هشام ، وأخذت حقنا وحقك ،

لم تشبع ؟

هشام : يا أمي طالبان لا يشبعان : طالب العلم وطالب المال .

ساجدة : الأفضل يا ابني هشام أن يتم الحديث في المساء

لنستفيد جميعاً .

هشام : دائماً رأيك شديد يا أمي .
 الأب : وأنا يا هشام ؟ ويضحك الأب ،
 هشام : أعظم دليل على إصابتك رأيك ، وعمق بصيرتك هو
 اختيارك لأمي زوجة لك ، ومربية لأولادك .
 الأب : أيضاً هذا مدح لأمك يا هشام - أكرمك الله -
 يضحك الأب وتضحك الأسرة

• • •

وفي المساء اجتمعت الأسرة على حب وثناء ، وواصل الأب
 من الحديث ما انقطع .

ساجدة : يحضرنى سؤال حول الآية الكريمة «ولأنك لعلى
 خاق عظيم» .

لماذا لم يبدأ القرآن بمدح عقيدة النبي أولاً ، ثم شريعته ،
 ثم أخلاقه .

لماذا بدأ بالأخلاق ؟

عارف : يا ساجدة ، العقيدة السليمة تدفع صاحبها للعمل
 الصالح . لأن العقيدة بلا عمل لونها من الإيفان العقيم . وقد

رفض القرآن دعوة الأعراب - عندما ادعوا الإيمان وواقمهم
بأنهم مع حقيقته (٥)

(*) ذكر القرآن واقع الأعراب - وهم سكان البادية - فقال
عن عقيدتهم : « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً » ، ٩٧ التوبة
وقال عن كراهيتهم للزكاة : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق
مغرمًا » ، وقال عن كرمهم للجهاد مع رسول الله ﷺ ووجه
المعذرون من الأعراب أيؤذن لهم ، . وقال عن جهلهم بكتاب
الله وشريعته : « وأجذروا إلا يطلوا حدود ما أنزل الله على
رسوله » ، وقال عن وضعهم الاجتماعي في ظل الدولة : « ومن
حوالكم من الأعراب منافقون »

كان هذا حالهم حتى السنة التاسعة من الهجرة - وهي السنة
التي نزلت فيها سورة التوبة - التي فضحتهم - لذلك رفض القرآن
دعواتهم الإيمان . لأن الإيمان سلوك وطاقة . قالت الأعراب
لنا . . . قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا . . . ولما يدخل
الإيمان في قلوبكم . . .

١٤ الحجرات =

• • • • •
= رفض إيمانهم ، ودجهم في صفوف المسلمين فقط على أمل
انطباعهم ، لما يدخل الإيمان في قلوبكم ، وكلمة لما تفيد
عدم حدوث الشيء في الزمن الماضي مع توقع حدوثه
في المستقبل . فلا وزن لإيمان عقيم لا ينبج سلوكاً عملياً .

ولا يغيب عن القارئ الكريم أن الأعراب هم أول من ارتد
بعد النبي ، وذلك لعدم تمكن الإيمان في قلوبهم بسبب بعد
سكنهم عن مسجد النبي . وحرمانهم من توجيهاته وتربيته -
التي حظى بها أصحابه فأصبحوا مشاعل على الطريق .

ولأن حياتهم كانت تحبب لهم العزلة والتحرر من الارتباط
بالدولة .

وناهيك بحفوة قلوبهم وغازاة البادية التي جعلت السماء لا تختار
منهم نبياً أبداً لأن النبوة عطاء ورحمة .

وهذا لا يمنع وجود عناصر إيمانية كريمة في الأعراب =

يا ساجدة . . الإيمان سلوك . . فن كمل إيمانه خشع لله قلبه
والترزم منهجه في العبادة ، فإله لا يعبد إلا بما شرع .
فالعقيدة الصحيحة تولد عبادة كاملة .

عناها القرآن بقوله تعالى : « ومن الأعراب من يؤمن بالله
واليوم الآخر ويتخذ ما يفتق قربات عند الله . وصلوات
الرسول ألا إنها قريبة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور
رحيم .
٩٩ التوبة

وما ارتد عن الإيمان بعد النبي إلا الذين قالوا بأفواههم
ما ليس في قلوبهم ، ولم يتمكن الإيمان من قلوبهم . ورحم
الله أبا بكر . فقد أعاد للإسلام هيئته عندما أدب الأعراب
والمنافقين وأخضعهم لدولة القرآن . وذلك بحروب الودعة -
التي سبب فيها أحد عشر جيشاً في وقت واحد .

وأبو بكر هذا العمل يعقب أول قائد يفتح أحد عشر
جبهة قتالية في وقت واحد ومع ذلك يستطيع أن
يحقق النصر .

والعبادات الكاملة تهذب الأخلاق وتزكّيها .
وخذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها ،

١٠٢ التوبة

« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ٤٥ العنكبوت
« فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » ١٩٧ البقرة
فالعبادات مدرسة عملية للأخلاق .

فن كانت أخلاقه فقد كانت عباداته وصحت عقيدته .

والحاصل على الدكتوراه لا بد أنه حصل على ما قبلها من
الدراسة وتفوق فيها .

فانه - سبحانه - عندما امتدح أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد
أثنى على دينه وخالقه .

العقيدة الصحيحة توصل إلى ~~الأخلاق~~
العبارات المبرية

والعبارات توصل إلى الأخلاق
العالية

صحة ملك أخلاقه فقد ملكت
عبادته وعقيدته .
١٥٦

الفصل الرابع

• المستشرقون ومنهجهم في السيرة
• محمد المثل الكامل للاسان

« فيلب حتى »

• كل مصادرنا تجمع على طهارة خلق محمد

« وليم ميور »

• لقد امتزجت العدالة والوحمة في نفس محمد

« فظيري »



• كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية وخطره على الشباب
• « نيوجين » أعماء الحق على نبي الاسلام

في غرفة المكتبة جلس الشيخ عارف على مكتبه ، جلس بين
الكتب ليربط فكره بفكر الآخرين ويستمتع بمواهر المكتبة
العربية والاسلامية . وفي عمق الدارس ، وذكاء المرئى ، وبصيرة
الداعى يمر الوقت خفيفاً خفة النسيم .
ما أجل الكتاب .

جليس لا يمل ، ومرشد لا يمن إعطائه .
ودخلت - ساجدة - زوجة الشيخ ودار هذا الحوار :

. . .

ساجدة : « تبسم ، وتقول للشيخ عارف : لقد بدأت أغار
من الكتب كأنك متزوج بثلاث نساء فبرى .

عارف : كل رجل عبقرى خلفه امرأة عظيمة .

ساجدة : تعنى أنك عبقرى ؟

عارف : لا . . . بل أعنى أنك عظيمة . . .

ساجدة : لاني احب الكتب لانها بستان ، وثمار قرأتك
ينتفع بها الجميع ، وانت لا تستطيع أن تطعم أو تكسو كل
أصحابك واطفالك ، أنت لا تستطيع أن تهيم السعادة بالكلمة المؤمنة .

لا نخيل عنك تهديها ولا مال
فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

• يدق الباب ويحضر وائل يحمل حقيبة من الكتب ، ودار
حوار طويل ،

وائل : انشغلت في هذه الأيام بالقرأة عن النبي صلى الله عليه وسلم .
عارف : أحسنت يا وائل .

يجب على كل مسلم أن يدرس سيرة النبي الكبير وأصحابه ،
وذلك ليجهل من حاضره امتداد لعطاء الأمة .

والأمة التي تنسى عظماها ، وتحاول عزل نفسها عن ماضيها
مشابها كمثل رجل فقد ذاكرته فهو لا يدري من أين جاء ، ولا
أين يذهب . أرمي كلقيط مقطوع النسب لا يعرف أصله .
لأن الإنسان يمتاز على الحيوان بدراسة التاريخ .

فالغار يموت في المصيدة التي مات فيها أبوه . .

وثبتى نفس المصيدة لتستقبل الأجيال الجديدة .
إدرس التاريخ فإنه مدرسة . .

ولملك تخيرت الاساتذة الذين قرأت لهم .

واقول : كلهم من كبار مفكرى الغرب .

لأننى أحب منهج علماء الغرب فى الكتابة لما لهم من سعة
اطلاع وحيادية علمية .

عارف : كنت أود أن تعرف الحق من اهله أولاً . . ثم
تقرأ ما شئت بعد ذلك ولمن شئت . .

واقول : اطمن يا شيخ عارف . . لأنهم منصفون .
لقد قرأت للدكتور « فيليب » قوله :

« لقد تركت أعمال محمد اليومية وسلوكه فى الامور الخطيرة
والبسيطة ، أبعد الأثر فى النفوس ، بحيث أصبحت قدوة
يقتدى بها الملايين إلى يومنا هذا .

ولم يحدث أن اعتبر شخص واحد - عند أى طائفة من
طوائف الجنس البشرى - المثل الكامل للإنسان فقلدت أفعاله

بمثنى الديقة كما حدث لهود ،

« تاريخ العرب دكتور فوليب حتى ص ١٦٦ ،

وهذا غاية الإنصاف من كاتب لا يؤمن بالإسلام .

• • •

وقراء العالم « وليم ميور ،

تجمع كل مراجعنا التي - درسناها - على طهارة محمد وأنه
صورة نادرة بين أهل مكة بسبب ما وهب من عقل راجح ،
وذوق دقيق ، وعمق في التأمل .

« الفكر الحالك لمحمد على ص ٢٠ ،

عارف : جميل يا وائل . .

وايكن ما رأيك في كلام « وليم ميور ، الذي ذكرته ؟

وائل : إنصاف عظيم لأخلاق النبي - ﷺ - لقد قال
عن النبي :

عقل راجح ، وذوق دقيق ، وعمق في التأمل . .

عارف : هل لاحظت يا وائل أنه نسب عظمة النبي إلى

عبريته ولم يشر إلى النبوة .

لأنه يصور النبي على أنه مجرد مصلح اجتماعي أو فيلسوف .

والفارق بين النبوة والمبقرية كبير . .

والنبي — صلى الله عليه وسلم — قد جمع بينهما .

« الله أعلم حيث يجعل رسالته » ١٣٤ الانعام

وائل : سبحان الله .

لقد ظاب عن هذا الأمر .

. . .

لكنني قرأت للعالمة « فاعليري » في كتاب دفاع عن
الاسلام ص ٢٣ : قولها :

لقد كان محمد شديد التسامح ، وبخاصة مع أتباع الأديان
الموحدة لله .

وهو ملتزم بمبدأ « لا إكراه في الدين »

لقد امتزجت العدالة والرحمة في نفسه .

هذا كلامهم يا شيخ عارف .

فإذا نريد من كتاب الغرب أعظم من هذا الوصف ؟

عارف : لا نريد منهم شيئاً .

ولكن نريد منك ومن الشباب المسلم أن يعرف منهم علماء
الغرب .

أقد وضعوا خطة خبيثة في كتبهم عن الإسلام . وفي سيرة
النبي بالذات .

وائل : خطة خبيثة ؟

عارف : نعم . . كل شيء في الغرب مدروس ، ويسير
على خطة .

لأنهم يكتبون ألف كتاب عن النبي .

كل كتاب يحتوي على مائة صحيفة مثلاً .

يحاول المكاتب أن يمدح النبي في تسع وتسعين صحيفة ،

ويضع نقطة السم في صحيفة واحدة .

فامتداحهم للنبي يروج الكتاب بين المسلمين .

ويشعرهم بأنهم أمام كاتب محايد يتحرى الحق فقط .

عما يجعل العقل يتقبل نقطة السم ولا يشعر بمذاقها .

يا وائل .. إن نقطة السم لا يظهر طعمها في طبق للعسل .

ولكن فعلها في المعدة لا ينكر .

فإذا طعن كل كاتب في جانب واحد من حياة النبي فإن

بمجموع كتبهم كفيلا أن تدمره الإسلام، وتفسد سيرة نبيه .

وائل : هكذا يفعلون يا فضيلة الشيخ؟

الشيخ : وأكثر من هذا يفعلون .. والمسلمون في غفلة .

يا وائل .. لقد ظهرت مجموعة من الكتب يدعى فيها المستشرقون

أنهم يبذلون جهوداً كبيرة، وينفقون أموالاً واسعة في سبيل

التبشير بالنصرانية - في أفريقيا وآسيا - ولكنهم يواجهون

مشكلة صعبة تموق رسالتهم - هذه المشكلة في ادعائهم هي

أن الإسلام ينتشر وحده - في هاتين القارتين - بدون أي

جهود من المسلمين .

وهذه كلمة حق يراد بها باطل :
واطل : أى باطل فى هذه الشهادة العظيمة - التى تبشر بكل
خير ؟ .

طarf : يا وائل : الأمر أخطر مما تصور . بل ، ما
يتصور كثير من المسلمين عندما يفرحون بهذا الكلام ويرددونه
فى مقالاتهم وعلى بعض المنابر .

إن المبشرين يهدفون - من وراء هذه الخطبات المعسولة
إلى تقاعد المسلمين وتخليدوهم .

فإدام الإسلام ينتشر وحده - كما يقول المبشرون - فما
هو الداهى لطجرة الدعاة وإتفان الجهد والمال ، فى سبيل نشر
الإسلام فى هذه البلاد ؟ ؟

لقد تقاعد المسلمون ، وتكاسل الدعاة ، وانصرفت كثير من
الهيئات الإسلامية عن رسالتها .

انصرفت إلى خلافات نظرية ، وممارك فكرية يعلم الله
أن الإسلام لا ناقة له فيها ولا جمل .

لقد نامت الأمة الإسلامية فى النور .

بينما استيقظ اعداؤها في الظلام وجدوا السير .

إن واقع المسلمين اليوم - كصاحب في حادثه نقل إلى غرفة
للمعاملات لاسمافه فظل من حوله يقلبون أظافره ويمشطون
شعره - والمصاب يحتضر .

الغرب يخدعنا يا وائل :

وسوف أثبت لك صحة فهمي لكتابات المستشرقين .

~ ~ ~

هات كتاب (حضارة الاسلام) واقراء ص ١٣٤ اقراء في
مرك . . فانا لا احب أن أسمع .

واحكم أنت على ما تقرأ .

د يقرأ وائل وتبدو عليه علامات الاستغراب ،

وائل : عجباً . . . أين الإنصاف - الذي يدعيه علماء

الغرب . ؟

وأين الحياد ؟

لانه يدعي أن المسلمين نسبوا إلى النبي بعض الماهجرات المسيحية
والبوذية ليشبهوا رغبة العوام .

بل يدهى أن النبي نفسه كان ينسب إلى نفسه هذه المعجزات
ليخرج نفسه من طبيعته البشرية . كي يظهر في صورة
الأنبياء .

عارف : عجباً يا وائل . . الأمور الخارقة للعادة . المعجزات .
إن نسبت إلى البوذية يعتبرها المؤلف حقائق ثابتة -
مع أنه لا يؤمن بالبوذية - وإن نسبت إلى نبي الإسلام -
وثبت نسبتها تاريخياً - يعتبرها دجوستاف ، خرافة
وأساطير .

لأنهم يكرهون الإسلام يا وائل .
ولو كلف دجوستاف ، نفسه أن يدرس شيئاً عن موقف
نبي من الأمور الخارقة للعادة لعلم جهله الشديد بهذا
النبي العظيم .

لعلك تذكر يا وائل يوم وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ -
قد صادف خسوف الشمس .

وهذه ظاهرة طبيعية يمكن أن تحدث في أى وقت .
ولكن بعض الصحابة ربط بين هذه الظاهرة وبين موت

لإبراهيم - عليه السلام -

وقالوا خسفت الشمس لموت إبراهيم .

قالوا هذه الحكمة عزاء للنبي .

ومقام العزاء يتسع لمثل هذه المجاملات .

أوقالوها اعتقاداً بصحتها .

وكان النبي - ساعتها - يعاني من آلام فراق ولده .

وكان يمكن للنبي أن يستمع لهذه المقالة ويسكت ولا لوم عليه

لأنه مشغول بدفن ولده .

ولكن النبي العظيم - أستاذ الحقيقة - لم يقبل أن يعزى

بما يخالف الحقيقة .

كان يمكن للنبي أن يسكت لئلا يك هذه المقالة تشيع بين

العرب ، فيوقن أتباعه ، ويؤمن أعداؤه .

ولكن النبي جفف دمه ، ووقف في الناس معلماً يقول :

الشمس والقمر آياتان من آيات الله ، لا ينخسفان لموت أحد

ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة .

إن الحقيقة يا وائل . .

والحقيقة وحدها . . هي الأساس الذي بنى عليه النبي
دهوته .

أين هذا من افتراء « جوستاف » - الذي يدعى أن النبي
كان ينسب الخوارق إلى نفسه ؟

• • •

وأمامك يا وائل كتاب « تاريخ الشعوب الإسلامية »
تأليف « كارل بروكلمان » .

اقرأ السخافات العقابية التي وضعها هذا الكاتب في كتابه .
إن كل سطر منه يحتاج إلى ردود طويلة .

لأنه يدعى أن النبي تدرج في مسألة التوحيد ولم يعرف
توحيد الخالص في السنوات الأولى من بعثته .

ولو كلف هذا الكاتب نفسه أن يقرأ السور الثلاث الأولى
التي أنزلت على النبي في فجر الوحي لأدرك صورة التوحيد
الخالص الذي لم يرق إليه دين إلا الإسلام .

فند الأيام الأولى للوحى والقرآن يؤكد قضية التوحيد
وأفرا باسم ربك ، لا باسم صنم أو بشر . لأن ربك هو الخالق
لأن ربك هو الأكرم ، ولأن ربك هو المعلم .

وتأتى سورة المدثر : وتؤكد ضرورة تكبير الله ، وطهارة
النفسي والقلب والشوب من كل دنس .

أما سورة المزمل : فمنهج التوحيد فيها واضح ، رب المشرق
والمغرب لا إله إلا هو فاتخذته وكيلا ، ٩ المزمل .

فأى توحيد أكمل من هذا التوحيد - الذى عرفه النبي
منذ الشهور الأولى من الوحى ؟

وهل عرفت ديانة الكائنات - إن كان عنده دين - توحيداً
أرقى من قوله تعالى : رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو .
فاتخذته وكيلا ؟

...

ويقول فى ص ٧٨ . من نفس الكتاب .

يتحتم على المسلم أن يعان غير المسلم بالعداوة حيث وجدته

لأن محاربة غير المسلمين واجب ديني .

هل قرأت يا وائل هذا الافتراء ؟

هل الإسلام يفرض على المسلم أن يعلن الحرب على جميع

خصومه ؟

وائل : عجبا لهذا الكلام ..

إن ، فاغليري ، تقول : لقد كان محمد شديد التسامح .

وبخاصة مع أتباع الأديان الموحدة لله .

عارف : ولو قرأ هذا الكتاب سورة الممتحنة لرأى تسامح

الإسلام مع الذين يخالفونه في العقيدة — بشرط أن لا يحاربوا

الإسلام . قال تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين

ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب

المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم

من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولم

فأولئك هم الظالمون ، الممتحنة

وهناك فارق كبير بين الدعوة إلى الإسلام وبين إكراه

الناس على الدخول فيه .

✖ كما أن الفارق كبير بين الفتوحات الإسلامية - وهي التحمل جيشين - وبين انقشار الإسلام وهو مسألة فكر واقتناع وحرية .

وحسبك أن تعلم أن بعض البلاد تم فتحها عسكرياً وبالناس فيها على دينهم . كبلاد الأندلس - وقد كفل لهم حرية عالية .

كما أن كثيراً من بلاد العالم انتشر فيها الإسلام بدون أن تفتح عسكرياً .

• • •

وانت ؛ لقد اتخذت بدعوة المستشرقين ، وغرني ادعاءات الحياض والموضوعية .

وأملنا أن يوفق الله علماء المسلمين في نشر مثل هذا الحوا
لينة ضحوا خطة الغرب وخصوم الإسلام .
إن أعلامهم أخطر من سلاحهم .

ويجب أن تحصنوا الشباب من الأفاعى .

عارف : الحمل ثقيل يا وائل .

وجهاز الإعلام الإسلامى فقير .

إن هذا أخى له تسع وتسعون نمجة ولى نمجة

واحدة فقال أكفنيها وعزني في الخطاب ، ٢٣ ص

يا وائل جهاز الإعلام الإسلامى فقير .

لم يبق الإسلام إلا المنبر - فسامح الله الذين يأخذون

الإسلام ولا يقدمون له .

• • •

لو قرأت أوصاف المسيح في القرآن لعلمت أن القرآن أتى

بالمسيح مائة الجمال والسكان .

قال تعالى على لسان المسيح :

وقال إني عبد الله

آتاني الكتاب وجماني نبيا .

وجماني مباركاً أينما كنت .

وأوصان بالصلاة والزكاة ما دمت حيا
وبرأ بوالدتي ..
ولم يجهلني جباراً شقيماً ..
والسلام على يوم ولدت ..
ويوم أموت ..
ويوم أبعثت حياً ،

٢٣ مريم

أما في سورة آل عمران آية ٤٥ ، ٤٦ ، فقد جاء قوله تعالى

، اسمه المسيح عيسى ابن مريم ..
وجيهاً في الدنيا والآخرة ..
ومن المقربين ..
ويكلم الناس في المهد وكهلاً ..
ومن الصالحين .

وقد دأب القرآن عن مريم ، وأثبت عفتها وطهاره منبهة
وعظيم أصلها .

فأصلها ثابت . إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم
وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع
عليم . ٢٤ آل عمران .

وهي محفوظة من الشيطان منذ ولادتها لدعاء أمها .
وإني سميتها مريم وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم . فتقبّلها ربها بقبول حسن وأنتبها نباتاً حسناً . وكفلها
زكريا . ٣٧ آل عمران .

فهي طيبة الأصل والبذرة والبيئة والوعي .

ثم صادفها اصطفاؤه الله لها على نساء العالمين . .
وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك . . . وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين . ٤٣ آل عمران .

وانل : هل نفهم من هذه الآية أن مريم - عليها السلام -
أفضل عند الله من نساء النبي ؟

عارف : يا ولدي . . لا مجال للمقارنة بين أي امرأة وبين
نساء المؤمنين - نساء النبي ﷺ .

لأن الله قال عن نساء النبي « يا نساء النبي استن كأحد من
النساء » ٢٢ الأحزاب

فالقرآن دافع عن عيسى وعن أمه .

فليت هؤلاء الغرب يتأدبون بأدب المسيح .

واسكن كيف نكلمهم بأدب المسيح وهم لم يتذوقوا حلاوة
دينه - الذي نزل من عند الله -

إن حركة التبشير العالمية تمتد لغزو فكري يبارك الاستعمار
الغربي ويخدم مصالحه .

وما أبعد الوسيلة والغاية عن رسالة السماء .

القرآن يمتدح عيسى بما هو أمه ، ويدافع عن أمه ،
والسكاتب « نوجين » - الذي يلبس ثوب الرهبان ويحمل قلم
الاقلام ، يقول عن أشرف الخلق محمد - ﷺ - :

إن محمداً حرم لحم الخنزير لأنه كان سكران ونام فوق
كوم عال فأتى الخنزير وعضه . فقام محمد وحرم لحم الخنزير
على أمته .

وأسأل هذا الكذاب الجافد ؟

لماذا حرمت التوراة لحم الخنزير ؟
هل هناك خنزير عض موسى - ياسيادة الفيلسوف - فخرم
موسى لحم الخنزير على أمته .

وائل : التوراة تحرم لحم الخنزير ؟
عارف : أجل يا وائل .

جاء في سفر التثنية ما يؤكد تحريم لحم الخنزير .
وائل : يعنى لحم الخنزير حرام في شريعة موسى وفي شريعة
محمد - ﷺ - .

عارف : وفي المسيحية أيضاً . أعني المسيحية التي جاء بها عيسى
لأن السيد المسيح اعترف بشريعة موسى وأقرها :
وقال : ما جئت لأقض الناموس .

لكن (بواس) - الذي دخل المسيحية بعد عيسى عليه
السلام استطاع أن يهدس الشريعة ويبطاها .

لقد زعم (بواس) أن بقاء للشريعة يعنى بقاء الخطيئة .
فلابد أن يتخلص الناس من الشريعة ، لكي يتطهروا من
الخطيئة .

جاء هذا في رومية ٣ - ٢٠ قال بولس :

ما دامت الشريعة قائمة فالخطيئة ترتكب ، ولكن المسيح
أبطل الشريعة . فبطل ارتكاب الخطيئة .

وائل : المسيح قال : ما جئت لأبطل الشريعة بل لإكملها
عارف : وبولس قال : إن المسيح أبطل الشريعة ليخلصنا
من الخطيئة .

معنى كلام بولس أن الشرطة والقضاء هما سبب الجرائم .
فلا بد من إبعاد الشرطة وهدم دور القضاء حتى يسلم المجتمع
من الجرائم .

وائل : هذا منطق معكوس . .

عارف : لذلك قال بولس بعد أن نصح في صرف الناس عن
الشريعة : الآن تحررنا من الشريعة . رومية ٧ - ٦
فلحم الخنزير حرام في الديانة اليهودية بالنص ، وحرام
في ديانة عيسى لإقراره بشريعة التوراة ، وحرام في الإسلام
لأن الإسلام يحل الطيبات ويحرم الخبائث فكيف يجوز أن
مثل « نوجين » ، على مثل هذا المقال ؟

وَأين الموضوعية والحيادية وأمانة البحث التي يدعيها
علماء الغرب ؟

ومن أي مصدر تاريخي نقل الكتاب القدر مثل هذا
المسراء ؟

إني على ثقة أن مثله لو كتب عن نجوم الصينيا ، وشعراء
الحمر ، لكتب قلبه بلا مداد .

أما عندما يكتب مخمور عن سيد الخلق ، وحاقد عن نبي
الرحمة ، وماجن عن استاذ الشرف ، فلا توقع إلا هذا
المسراء .

إن الأثناء القدر يفسد اللبن السمانى ؛

وائيل ؛ هل يمكن أن نعرف شيئاً عن سر تحريم لحم
الخنزير .

عارف : الأصل في اجتنابنا لحم الخنزير أن الله حرمه
علينا بنص القرآن . ولأنما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير ، سواء عرفنا سر التحريم أو لم نعرفه .
وصحابة النبي ﷺ - تلقوا أوامر القرآن بالطاعة ،

وتوابعه بالاجتناب احتراماً لفداسة القرآن .

ويخطئ بعض الشباب عندما يعتقد أن الحكم يرتبط
بالملة العتقية فقط ، ويهمل النص الكريم .
فالزنا حرام . . .

سواء حدث منه حمل واختلاط أنساب أو لم يحدث .

إن بعض الشباب اعتقد حرمة الزنا لأنه يسبب اختلاط
الأنساب ، فلما اكتشف الطب « وسائل منع الحمل » .

تصور أن تحريم الزنا أصبح بلا جدوى .

إن الأصل في التحريم هو النص .

وقداسة النص باقية إلى يوم القيامة .

أما معرفة الملة فهي عامل يحض على إطاعة الأمر فقط .
بعد ذلك يمكن أن أقول :

- الحنزير لا يتخلص إلا من ٢٪ من حامض البوليك ويحتفظ

بالباقى في لحمه . مما يسبب آلام المفاصل عند آكله .

- وهو يسبب الدودة الطويلة :

وهذه الدودة تختلف عن الدودة التي يسببها لحم البقر .

لأن جرثومة لحم البقر تقتلها نيران الطهي .
أما جرثومة لحم الخنزير فلا تقتل .

- وهو حيوان يأكل القاذورات . وإذا وجد بها حيوانا ميتاً أكله ، والإسلام يحرم أكل الحيوان الذي يأكل اللحم .
إلا السمك - فإن الله أحله لنا بنص قرآني كريم ، أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ، ٩٦ المائدة .
وائل : لكنني أعلم أن العلم الحديث استطاع أن يقتل جرثومة الدودة الطويلة في لحم الخنزير .

عarf : يقتلها من كل الخنازير أم من بعضها ؟ :

وائل : من الأنواع التي تربي بوسائل علمية ، وتطهى بوسائل علمية .

عarf : وبقية الخنازير ماذا قدم العلم لها ؟

يضيف بعض علماء طباع الحيوان سبباً آخر لتحريم الخنزير وهو أن كل من أكل من لحم حيوان معين يتأثر بطباعه . والخنزير لا يفار على أنثاه ، فإن صح فوطهم ففعل هذا هو سبب ورود الرجل في أوربا وعدم غيرته .

وائل : تبقي كما هي . . .

عارف : ما كان الله ليذرع عباده ضد حية الأمراض - التي يسببها
هذا الحيوان - حتى يأتي للعالم ليعالجها .

والأصل في التحريم هو النهي الإلهي - كما قلت لك وليس
الأصل هو إدراك العلة .

إن بعض الذين تحدثوا في فضل الصيام وحكمته قالوا :
إن الله شرع الصيام ليشمر الغني بآلام جوع الفقير .
وهذا كلام مقبول واطيف :

ولكن عندما قاله أحد الخطباء في « أفغانستان » وعزم
الشباب على الصيام . . .

جاء أحد الملاحدة - هناك - وقال للشباب :

الصوم يهذب الأغنياء ليشمروا بالفقراء .

فلماذا نصوم نحن الفقراء ؟

فأصبح الشباب مفطراً ، إعتقاداً منهم أن الحكيم يدور مع

العلة ، ولا يدور مع النص الثابت (١) .

وائل : هل هناك أحكام تغيب الحكمة منها على المسلمين ؟

عارف : هل كل المسلمين يدركون علة الأحكام وحكمها ؟

وائل : لا . . .

عارف : قلت لك : أن صحابة النبي يدم أن اجتنبوا لحم

الخنزير لم يسألوا النبي عن الحكمة من التحريم .

ولسكن قالوا : سمعنا وأطعنا ، لأنهم أيقنوا أن النهى جاءهم

من الله ، والله أعلم بسر السكون .

إن منهج تربية الجنود يستلزم إحترام الأوامر وإن غابته

الحكمة عن الجنود .

فتلا إذا أردنا أن ندخل معركة لتحرير القدس ، فعليتنا أن

نقمع الجنود بهدفها العام ، ونؤكد شرف المعركة .

أما عندما تدور المعركة ، ويصدر القائد أمره إلى بعض

(١) روى في هذه الحادثة أحد العلماء الأجلاء وقد وفقه

الله وشرح أسرار الصيام ، وفرضيته بها أعاد الشباب إلى

الصيام مقتنعين .

الجنود أن يتقدم ، أو يتجه إلى مكان معين فيجب عليهم
احترام الأوامر وعدم مناقشة السبب ، حفظاً على الوقت
وسرية الغنطة العسكرية .

وهذا ما نسميه في العرف الإسلامي « أمور تعبدية »
وائل : هل تتعارض الأمور التعبدية مع احترام الإسلام
للعقل ؟

عارف : لا يا وائل .

لأن الإسلام يقنع العقل بالأمور الاعتقادية — كوجود الله
ونزول القرآن من عند الله ، ونبوة محمد — عليه السلام فإذا ثبتت
هذه القضايا في النفس بالطاعة بعد ذلك واجبة وأضرب لك
مثالاً واحداً إذا خرج رجل — نثق في صدقه — من بيت وقال
لك : لا تدخل البيت لأن فيه رجلاً واحداً ، فإن صدقته نجوت .
وإن خالفته دفعت الثمن ظالماً . . .

وائل : الحمد لله الذي هدانا لهذا الحق . . . وأنار لنا الطريق .
إن ديننا غني عن أباطيل خصومه . . .

لقد فضحت منبرجهم ، وأثبتت حقدهم .
بارك الله فيك أسعداً ، وأباً لتلاميذك .
عارف : لا أمنعك من القراءة للمستشرقين . . .

واكن اقرأ قراءة المعاكم عليهم ، لا قراءة المخدوع بهم ما
فإن الحق أبلج . والله معك . .

• • •

الفصل الخامس

١ - مصدر القرآن في زعم المستشرقين

٢ - قصة الرأغب بحيرى .

لأن صدقتها فهي دليل على نبوة محمد .

وإن كذبتها فهي دليل على نبوة محمد .

٣ - هنا الحقيقة . . .

« جولد بيارت »

ذو القعدة عام ١٣٩٥ هجرية .

وكان الشيخ يستعد للسفر لبيت الله الحرام ، ووفود المهنتين تملأ البيت وإذا بطارق يدق الباب . له المهندس البلجيكي و جولد ييارت ، دعه على الشيخ احد الشباب المسلم في لبنان - هندا قال له :

لقد حضرت إلى البلاد الإسلامية لأبحث عن الحقيقة .
و دار حوار طويل نذكر بعضه - بقدر ما تسمح هذه الصفحات
وقد نشر بعضه في كتاب : المال في القرآن ، عام ١٩٧٦ .

جولد : لقد سافرت إلى تركيا ولبنان بحثاً عن الحقيقة . وفي
فنادق لبنان التقيت بالشباب العراقي الأستاذ . وليد المشهداني -
فداني عليك .

بحثت في اليوم الثاني مباشرة لأنني متمطش للحقيقة . وآمل
ان أجدها في بغداد عاصمة الحضارات الإسلامية .
الشيخ : عن أي شيء تبحث يا صغر جولد ؟
جولد : هل لدى الشيخ ما يقنع الماصر بنبوة محمد ؟
الشيخ : القرآن هو الدليل الدائم على نبوة محمد - ﷺ -
جولد : الذي لا يؤمن بنبوة محمد لا يؤمن بالقرآن .

الشيخ : لا أعني أنني سأقرأ عليك قول الله تعالى : محمد رسول الله ،

٢٩ الفتح

ولا قوله تعالى : والله يعلم إنك لرسوله ،

١ المنافقون

فنحن لا نناقش بالقرآن إلا من يؤمن بأنه منزل من عند الله.

ولكن أعني أنني سأحاول أن أثبت لك أن هذا القرآن

منزل من عند الله عن طريق المناقشة العقلية .

وبعد ما من السهل أن تدرك أن محمداً رسول الله .

جواد : هذا صحيح إذا تبصرت لك أدلة عقلية .

فقد قرأت كلاماً متناقضاً لكتاب الغرب .

قرأت لـ الكاتب « ارفنج ، ودر منغام ، ورينيه ، وكارل بروكلان ،

وغيرهم .

قرأت لهم أن محمداً التقى ببعض الرهبان والأخبار وتعلم منهم

القرآن (١) .

(١) يقول كارل في تاريخ الشعوب الإسلامية : فلعله اتصل

بجماعات من النصارى كانت معارفهم بالتوراة والإنجيل =

بل قرأت أن المسلمين تمموا القرآن - بعد موت محمد .

« الشيخ يضحك » ويقول :

المسلمون تمموا القرآن بعد موت محمد ؟

هذا كلام عجيب ..

لقد قال صاحب كتاب حضارة الاسلام :

إن القرآن لم يزد شيئاً ولم ينقص شيئاً منذ وفاة محمد .

بل أكثر من هذا أفلا قال : حتى ترتب السور والآيات لم يحدث فيها أى تغيير .

جولد : قرأت هذا فعلا .

أنا حائر لتناقض علماء العرب في أمر محمد .

الشيخ : أضرب لك مثالا واحداً لأمانة الأمة في الحفاظ

على القرآن .

= هزيلة إلى حد بعيد ص ٣٤ ولسأله كارل ، إذا كان القرآن

وليد معرفة هزيلة بالسكتاب المقدس فلماذا عجز أصحاب المعارف

الواسعة أن يأنوا بمثله عندما تمدهم القرآن ؟ وسوف نقارن

بين القرآن وبين كتابكم المقدس الذى تدعونه مصدراً للقرآن .

كون أبو بكر - خليفة النبي الأول - لجنة لجمع القرآن
في نسخة واحدة تحفظها الدولة .

وعين عمر بن الخطاب وزيراً للدولة في شؤون جمع القرآن .
وحدث أن اختلفت اللجنة مع عمر في حرف واحد من سورة
التوبة .

قرأ عمر د والسابتون الاولون من المهاجرين والانصار
الذين اتبعوهم بإحسان . قرأ الذين اتبعوهم بدون واو - على
انها بدل أو عطف بيان . آية ١٠٠ التوبة

وقرأت اللجنة د والذين اتبعوهم بإحسان ، على أنها عطف
نسق ، وقراءة اللجنة ينبغي عليها دخول كل متبع للسابقين في
رحمة الله ورضوانه .

فطلب عمر بن الخطاب من اللجنة أن تنتظر القراء الذين
هاجروا إلى سوريا والعراق ومصر والذين سيجمعهم موسم الحج
ليسألهم عن هذا الحرف .

وجاء موسم الحج وحضر القراء - الذين حفظوا القرآن
على يد النبي ﷺ وأكثروا وجود الواو .

فكتبها عمر ، وتنازل عن قراءته .

جولد : إلى هذا الحد بلغت أمانة النقل ؟

الشيخ : لقد قال زيد بن ثابت - رئيس لجنة جمع القرآن -

لأبي بكر الصديق - رضى الله عنهما -

والله لو كلفتنى نقل جبل لكان أمون على من كتابة القرآن .

وذلك لشعوره بالأمانة الثقيلة في نقله - فكيف يدعى كاتب

غربي - في عصر سهل فيه تبادل المصادر والكتب مثل هذا الرأي ؟

يا مستر جولد . إن المؤلف حقاً أن كتاب القرب إلى اليوم

يرددون الاتهامات التي وجهها رجل التبادلية إلى الإسلام - في

عصر الجاهلية - بل والأكثر من هذا أنهم يفسرون الظاهرة

القرآنية بنفس التفسيرات الجاهلية .

إن أقلامهم امتداد للجاهلية الأولى ، باسم العلم وأمانة الدراسة -

لأنهم كاقطط الشريدة النني تبحث في القيامه عن فضلات الطعام .

وسوف أناقش معك هذه الأوهام بشيء من الإيجاز لأنني

أستعد للسفر غداً إن شاء الله -

المستشرق « نيو فانز » قال :

محمد تعلم القرآن من رهبان لقيم في رحلاته إلى مصر
وإلى الشام .

وهذا كلام يؤكد جهل الكتّاب بحياة محمد .
لأن محمد لم يسافر إلى مصر طيلة حياته .
لا قبل النبوة ولا بعدها .

المستشرق « دور منغام » قال :

التقى محمد بيمض الرهبان في قرية « مدين » وكان محمد في قافلة
تجارية فتعلم منهم . ١ هـ

ولو كلف هذا الكتّاب نفسه أن يدرس (خريطة بلاد
العرب) لعلم أن القوافل من مكة إلى الشام لا تمر على قرية
مدين . لأن مدين في سيناء . وللقوافل لا تمر بسيناء .

أست معى يا هستر جولد أن من جهل هذه الأوليات
التاريخية والجغرافية أولى به أن يستعجى ولا يكتب
عن محمد ؟

جولد : هل تمنى أن محمداً لم يلتق في حياته بأحد من الرهبان ؟

الشيخ : لا أعني أنه لم يلتق بأحد من الرهبان .

لقد التقى برامبين يعرفهما التاريخ جيداً

ولم يكن وحده هو الجالس إليهما .

الراهب الأول : اشتهر باسم بحيرى .

وكان عمر النبي يومها لم يتجاوز الثانية عشرة ، عندما رغب أن

يسافر مع عمه أبو طالب إلى الشام .

وأثناء لقاء الصبي محمد بالراهب المجوز كانت الغافلة كما

تجلس معه .

وأمعن الراهب في محمد -- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ -- وسأل :

الراهب : ابن من هذا ؟

أبو طالب : لابني

الراهب : لا . إنه يتيم .

أبو طالب : ابن أخى .

الراهب : صدقت . ما ينبغي أن يكون له أب -- على

قيد الحياة - ثم نصح الراهب أبا طالب فقال :
يا أبا طالب . ارجع بابن أخيك .
فإني أخاف عليه يهود الشام أن يقتلوه .
يا مستر جولد .

من يؤمن بصدق هذه القصة - من كتاب الغرب - ويروج
لها - عليه أن يسأل نفسه :

كيف عرف الراهب أن محمداً يتيم؟
ولماذا خاف عليه من يهود الشام؟

كيف تعلم النبي من الراهب - في ساعة من نهار - أصول
دعوة ربه من أمة؟

لماذا سكت محمد - صلى الله عليه وسلم - ثمانية وعشرين عاماً بعد لقاء
الراهب؟

لماذا لم يقل أصحاب القافلة لمحمد : كنا معك عندما سمعت
هذا المقال من الراهب؟

يا مستر جولد . . .

إن قصة الراهب دليل على نبوة محمد

وليس تفسيرا لظاهرة الوحي - كما يدعى علماء الغرب .

جولد : ربما تكون القصة موضوعة ولا أصل لها .

الشيخ : من يدع ذلك يلتزم بالنتيجة المترتبة على الإنكار

وهي أن محمداً لم يتعلم من الراهب شيئاً .

فإنكار القصة يثبت نبوة محمد .

ولإثبات القصة يثبت نبوة محمد . ويثبت أنه مذكور في السكتب

الصماوية السابقة - التي درسها الراهب .

جولد : حوار منطقي فعلاً ، لا يملكه علماء الغرب - الذين

يعرضون آراءهم على أنها مسلمات لا تناقش .

ومن الراهب الثاني - الذي لقبه محمد - ؟

الشيخ : راهب في مكة . .

اسمه : ورقة بن نوفل ،

وقد زاره النبي بعد نزول الوحي عليه لأول مرة .

ولم يكن النبي يعرف أن الذي نزل عليه وحى من عند الله .

فلما سمع - ورقة بن نوفل - كلام الوحي بشر النبي أنه سيكون
نبي هذه الأمة .

وكانت خديجة مع النبي - عند الراهب - ومات الراهب
بعد فترة قصيرة .

يا مستر جولد

بعد أن عرفت حقيقة أمر الراهبين أسمح لي أن أناقش
الأمر - معك - مناقشة موضوعية

هل تتصور أن النبي ﷺ تعلم القرآن من اليهود . ثم جاء
بهم به ، وأعلن كفرهم بنص القرآن ، ولم يقل أحد منهم للنبي :
هذه بضاعتنا ردت إلينا ؟

ثم أناقش معك جانباً واحداً من القرآن - لضيق وقتي
الذي سأسافر شداً إن شاء الله تعالى - إلى بيت الله الحرام .
أناقش معك موضوع القصة في القرآن والتوراة .

ذكرت التوراة قصة نوح ، وإبراهيم ، ولوط ، وموسى ،
هارون ، وداود ، وسليمان .

وكل هؤلاء الأنبياء جاء ذكرهم في القرآن .

ولكن الدراسة المقارنة ستظهر لك الفارق الكبير :

• • •

نوح :

نسبت إليه التوراة أنه شرب الخمر ونام قائم كشفت عورة

سفر التكوين (صالح ٩ - ١٨)

بينما ذكره القرآن بقوله تعالى : ذرية من حملنا مع نوح

كان عبداً شكوراً .
الإمراء -

لوط :

وصفته التوراة بأنه شرب الخمر حتى غاب عن وعيه ثم

سفر التكوين -

ببنتيه ١١

بينما وصفه القرآن بقوله تعالى : فأمن له لوط وقال

مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم .

موسى :

وصفته التوراة بأنه إله هارون فقالت : هو يكون لك

سفر الخروج ٤ -

وأنت تكون له إلهاً .

بينما وصف القرآن هارون بأنه وزير لموسى :

واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخى ،

يا مستر جولد .
ط ٣٠

هل تتصور أن القرآن ، منحه المنصف الأنبياء ، واللاحق ، قد
استمده محمد من اتهامات التوراة الأنبياء ، وتشويه سيرتهم ؟
إن الظلم وتزوير الحقيقة ، لا ينبغي أن تصافى ، ولا عدل .
وتواصل مقارناتنا بين افتراء التوراة وحقائق القرآن .



هارون :

نواصل دراساتنا للتوراة ، فنراها تذكر قصة هارون . .
واسمع يا مستر جولدمان نقوله التوراة :
اسمع قصة هارون في الكتاب المقدس — الذي لا يستحي
طعاً الغرب من جعله مصدراً للقرآن :
نقوله التوراة :

ولما طال زمن غيبة موسى ، أظهر هارون الضعف
والانكسار ، وعصى الله ، وصنع لهم عجلاً ذهبياً لإسكاتهم .
خروج ٣٢ : ٤

ونقول أيضاً :

والظاهر أن هارون راعى الجانبين فبنى للإله الجديد
مذبحاً ، وأعلن عيداً للإله .

خروج ٢٢ - ٥

فالتوراة تدعى أن هارون هو الذى صنع المذبح
لبنى إسرائيل - مع أنه نبي -

ثم تمتد عن هذا الخبر - الكاذب - فتدعى أن هارون
صنع المذبح لإسكاتهم فقط ، لا لأنه كان يعتبره إلهاً من
دون الله .

هذا منطق التوراة . . . ١١

أما القرآن فيذكر قضية المذبح الذهبى ، وينسب الخبر
إلى فاعله الحقيقي ، وهو السامرى .

قال تعالى :

وما أعجلك عن قومك يا موسى . . . ؟

قال هم أولاء على أئرى وعجات إليك رب لترضى .

قال فإننا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى ،

٨٥ طه

وفي آية أخرى ، قال القرآن الكريم :

قال فما خطبك يا سامري . . . ٤

قال بصرت بما لم يبصروا به .

فقبضت قبضة عن أثر الرسول فنبذتها وكذلك سواك لي

٨٦ طه

نفس .

فصائع المعجل - كما يخبر القرآن - هو الشقي للسامري .

أما هارون - عليه السلام - فوقف فيهم محذراً من عبادة

غير الله .

قال تعالى :

« ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به . وإن

ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري » . . طه

قول فصالح التوراة أن تكون أصلاً للقرآن ومصدراً له ١٩٤

جولد يهر رأسه وعلى وجهه ملامح الحيرة .

وترك هارون يحفر الناس من عبادة المعجل . . لنتلقى

سليمان - عليه السلام -

نلتقي معه مرة أخرى في التوراة ، ومرة في القرآن - لتعرف
المارق بين الكتائبين . وهل تصلح التوراة لتكون مصدراً
للقرآن ١٩

يا مسترجع جولد . نتناول بعض الفاكهة ثم نواصل الحديث
جولد : الحقيقة أغلى من الفاكهة ..
عارف : الفاكهة تدبّر على طلب الحقيقة .
يضحك الجميع ويتناولون الفاكهة .
جولد : نعود إلى حديثنا .

عارف : صورت التوراة سليمان - عليه السلام - بأنه
في سلطانه مثيراً للذم ، فأخذ في السرف والترف والتعيش
المنوع أكيداً ، « سفر التثنية » ١٧ - ١٦
ولقد هدده الله ووبخه في رؤياه الثانية .

فرغم أن يتعظ ، استكبر وتساهل في أمر ربه ، ونسى
ربه ، والملوك ١ - ١

وأكثر من كل هذا قول التوراة عن سليمان :
أخذ يعاشر . . . ويمشّر النساء الغريبات اللاتي منع

ففسح منهن سبع مائة بالمقد الدائم ، وثلاثمائة بالمقد المنقطع

فاجتدب وأمان قلبه عن ربه . ملوك ١١ - ١٠

هذا سليمان عندهم - أعنى في توراتهم -

* *

أما القرآن فقد تحدث عن علم سليمان . ودقة فهمه في الحكم

بين الناس منذ فترة شبابه المبكر (١١)

ونذكر نموذجاً واحداً لذلك .

تقدم رجلان لداود عليه السلام أحدهما صاحب حقل

قراعى ، والثاني صاحب غنم .

واشتكى صاحب الحقل : أن غنم أخيه دخلت حقله

(١) الحادثة المذكورة حكم فيها سليمان في عهد والده داود

- عليهما السلام - والتوراة ذكرت أن داود قدمات

وعمر سليمان عشرين عاماً . « سفر الملوك »

فمعنى هذا أن سليمان حكم في القضية قبل سن العشرين .

في الليل وأكلفت زرعه .

لحکم داود : أن يأخذ صاحب الحقل الغنم ثم يوضأ عن زرعه
لكن صاحب الغنم اشتكى سليمان ضياع غنمه .

فدخل سليمان على أبيه وقال له :

يا بني اقم . . ادفع الغنم لصاحب الحقل ينتفع بها ، واد

الحقل لصاحب الغنم يمد زراعته .

ثم يرد كل منهما ما في يده لصاحبه .

قال داود : حكمت فعدت .

وقد سجل القرآن هذه الحادثة دليلاً على نضج سليمان

في شبابه .

قال تعالى :

وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرت إذ نفشت فيه غنم القوم

وكننا لحكمهم شاهدين .

فقمناها سليمان . وكلا آتينا حكماً وعلماً ، ٧٨ الأنبياء

وقد امتدح القرآن سليمان فقال :

« ووهبتنا لداود سليمان . نعم العبد . إنه أواب » ، ٣٠ ص

الحكم يا مستر جولد .

سليمان - في التوراة - مشغول بألف امرأة أمكن قلبه
حق ربه .

وسليمان - في القرآن - نعم العبد . . . لأنه أواب ،
يا مستر جولد - أن محمداً تعلم القرآن
من الكتاب المقدس ١٩

. . .

إن اليهود يدعون أنهم شعب الله المختار . . . والإسلام
بين يسوى بين كل الناس ، ويجعل أكرمهم عند الله أتقاهم .
وعندما أخبر القرآن أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس .
يجعل عوامل التفضيل سمو شعب على شعب ، ولا دماً
دم .

لأنما جعل دائرة الشريف هي جهاد الأمة من أجل الخير
لإبعاد الناس عن المنكر . قال تعالى :

وكنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتؤمنون بالله ، ١١٠ آل عمران

وقد أخبر القرآن أن جماعات من غير العرب سوف تدخل
الإسلام ويصبح لها كل ما للعرب من شرف .
قال تعالى :

« وآخريين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ،
٣ الجمعة

وشرف هذه الأمة مرتبط بخدمة دينها والدفاع عنه .
فإذا انفصلت الأمة عن حمل أمانة الدين ، نزع الله منها
هذا الشرف .

« وإن تمولوا يستبدل قوماً غيركم . . . ثم لا يكونوا
أمثالكم ،
٣٨ محمد
ياممتر جولد .

هل يمكن أن تكون هذه المساواة العامة قد استقامها محمد
من قوم لم يبق لهم من دينهم سوى الفرور والتعالي
على الناس ؟ !

هذا من جهة العقيدة . . .

أما من جهة الشريعة اليهودية ، والشريعة الإسلامية - سلامية

فالحلاف جلي وواضح .

اليهود يحرمون الربا .

والإسلام يحرم الربا .

ولكن اليهود يحرمون الربا بين اليهودي ، واليهودي فقط .
أما غير اليهودي فيجوز إقراضه بالربا .

حاء في سفر التثنية :

الأجنبي تقرض براباً .

ولكن لأخيك لا تقرض بالربا ، لكي يبارك الرب إلهك
في كل الذي تمتد إليه يدك - هذه شريعة التوراة -

أما الإسلام فيحرم الربا على المسلم ، سواء كان المقرض
مسلياً أو غير مسلم .

• • •

الديانة اليهودية تحرم لحم الميت .

والإسلام يحرم لحم الميت .

ولكن التوراة - التي يدعى المستشرقون أن النبي أخذ

القرآن من تعاليمها - تقول - في سفر التثنية :

لا تأكل جثة ما . - يعنى أى جثة -

تعطيها للغريب على بابك يأكلها أو يبيعها لأجنبي ، لأنك

شعب مقدس للرب إلهك . .

يا مصترج جولد .

هل تصور أن الدين الذى يسوى بين كل الناس فى أحكامه ،

ويمنح لغير المسلمين من الحقوق كل ما للمسلمين ، ويجعل

عليهم من الواجبات بمقدار ما على المسلمين .

هل تصور أن هذا الدين يمكن أن يكون امتداداً لدعوة

اليهود المنصرية ، أو لتشايت النصارى ١٤

إن التشايت لا يوجب التوحيد الخالص .

وظلم - هذه الأنبياء وتشويه قدرهم - فى التوراة -

لا يمكن أن يكون مصدراً للإنصاف التاريخى - الذى -

جاء به القرآن .

والديانة المخلقة على قوم بعينهم لا يتصور عاقل أنها أم

الدعوات العالمية المفتوحة .

جولد : لاني أشعر بما يشعر به راكب السفينة .

عارف : تشعر بدوار في رأسك ؟

جولد : لا . . .

بل أشعر بأنني في طريق لإدراك الحقيقة . ببساطة ، كما
يشعر راكب السفينة بأنه في طريقه إلى شاطئ المسلام .
لقد بحثت كثيراً عن الحقيقة . . .

وسافرت من أجلها إلى بلاد عدة . . .

لقد أصبحت على يقين من أن محمداً لم يأخذ القرآن من
توراة والإنجيل . لأن من تتلذذ على فن تأثر به بهما
حارل أن يتناساه .

* * *

واسكنتي قرأت لبعض المستشرقين أن محمداً كان يطيل
تأمل في السكون . حتى هداه تأمله لهذا الدين .

عارف : وددت لو أنك تهجد اللغة العربية لتقرأ كتاب
النبا العظيم ، لتذكور محمد عبداً لله دراز .

تغيير اجتماعي . لقد عاش يرضى الغنم ، ويتاجر في مال
السيدة خديجة ، ولم يسمع منه يوماً أن يتحدث عن توحيد الله ،
أو عن نعيم الجنة ، أو عن أى دعوة للخير .

أربعون عاماً ليس بالعمر القليل . . .

وقد سجل القرآن هذه الفترة ، وأكّد فراغ ذهن النبي
من كل شيء - إلا ما يشغله - الرجل المهدى من شؤون
الحياة (١) .

(١) نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك
هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ،

٣ يوصف .

وقال تعالى : تلك من أنباء الغيب أوحينا إليك ما كنت
تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا .

٤٩ هود - ولو كان له ، أو لقومه علم بما لأعدوا
تكذيبه .

وقال تعالى : وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا

فالقُرآن يؤكد خلوه ذهن النبي في مرحلة ما قبل « إقرأ باسم ربك » - من كل شيء .

هذا القرآن قرأه النبي على قومه - الذين يعرفون عن حياته كل شيء ، ولو لم يوافق وصف القرآن للنبي حقيقة حياته لقال المشركون له :

فقدى أنك أمي لم تدرس ، ولم تتعلم ؟

والحقيقة : إنك درست عند فلان ، وتعلمت من فلان .
لأنهم كانوا أحرص الناس على تكذيبه .

= ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ،
« آخر الشورى »

وقاله تعالى : « وما كنت تعلم من قبله من كتاب ولا تخطئه يمينك ... لأن لا رتاب المبطلون » .

« ٤٨ المنكبات »

أى لو كنت تقرأ لارتاب الممكذبون وقالوا : إنه درس . ولكن عدم قراءتك دليل على تلقى وحى الله .

ولكن سكوتهم عن ذلك دليل على صدق دعواه . . .
يامستر جولد . . .

القصة - في القرآن - تعتبر إخباراً عن غيب الماضي .
وإخبار النبي عن غيب الماضي بدقة كدقة القرآن - مع
أنه أمي - يؤكد أن القرآن ليس نتيجة التأمل الفكري . لأن
التأمل لا يكشف عن المغيبات (١)

جولد : أشعر أن الحوار يحترم عقلي .

(١) استعمل القرآن كلمة فرعون لحاكم مصر في عهد موسى ،
وقال فرعون ، واستعمل كلمة الملك لحاكم مصر
- نفسها - في عهد يوسف ، قال الملك ، وبقي سر التسمية
بمجهول حتى اكتشف العلماء حجر رشيد - الذي كان مفتاحاً
لدراسة اللغة المصرية القديمة . وبعدها علم رجال التاريخ أن
المصريين القدماء كانوا يطلقون على الحاكم من أبناء مصر
« فرعون » وإذا كان الحاكم محتلاً للبلاد يسمونه
« ملكاً »

ويقوى احتمال نزول القرآن من عند الله . ولكن
لا زات بحاجة إلى حديث طويل .

فقد قلت لك : إن كراكب سفينة يقترب من الحقيقة
بهدوء .

عارف : أنت تطلب الحق ، ونحن في خدمة الحق .

* * *

انكشف القرآن عن غيب الحاضر - كما كشف عن
غيب الماضي .

ويتمثل هذا الأمر في فضح القرآن لنفاق المنافقين . وكشف
طويتهم - مع إجادتهم لتمثيل دورهم ،

والأعجب من غيب الماضي ، وغيب الحاضر هو إخبار

= ويوسف عليه السلام عاش في أيام الهكسوس الذين غزو
مصر من أواسط آسيا ، وطردهم ، أحسن . . فهل أدركت سر
القرآن في التسمية ١١٩

وهل مثل هذا السر يدرك بالتأمل ؟

القرآن عن غيب المستقبل فجاء الإمان فصدق ما أخبر
به القرآن .

واللهواهد كثيرة لمن قرأ القرآن .

كان النبي في مكة بعيداً عن أحداث معركة الفرس
والروم .

وتطارت الأخبار بهزيمة الروم - أمام جيش الفرس .
وحزن المسلمون بالنتيجة - الروم أصحاب دين ، أما
الفرس فمجوس يعبدون النار .

وفرح المشركون بالنتيجة ، لأن الفرس أقرب لهم من
النصارى .

ولكن القرآن نزل يخبر المسلمين أن النصر للروم - في
الجولة الثانية - من المعركة .

والأدب من هذا أن القرآن حدد المدة - التي سينتصر
فيها الروم .

حددها ببضع سنين .

والبضع من ثلاثة إلى تسعة . ثم أكد القرآن أن نصر
الروم سيوافق نصراً آخر عند المسلمين .
نزلت الآيات في مكة . . .
ومرت السنوات تباعاً .

وهاجر النبي إلى المدينة .
ودارت معركة بدر الكبرى . وانصر المسلمون فيها .
وفي أثناء احتفال المسلمين بنصرهم ، وصلتهم أخبار تؤكد
انتصار الروم على الفرس .

والتقى النصران . وصدق الله وعده ، وصدق نبيه قال
الله سبحانه في القرآن المبكى :

« غلبت الروم في أدنى الأرضي وهم من بعد غلبهم سيفنايون
في بضع سنين . . . »

« الله الأمر من قبل ومن بعد . . . »

« ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ° الروم

« يومئذ . . . أي يوم انتصار الروم ، سيفرح المؤمنون

بنصر الله . وقد وافق لصر الروم على الفرس انتصار المسلمين
في بدر .

هل هذه المفاهيم يمكن أن يدركها العقل بالتأمل وطول
النظر في الكون .

جولد : لا .

الامر اعلم من كل هذا وأجل .

وايكن . ربما كان محمد يعلم الغيب ؟

حارف : إذا تصورته يعلم الغيب فقد تصورته نبياً .

يا مستر جولد .

لم ينسب محمد إلى نفسه أنه يعلم الغيب .

وقد أعلن القرآن هذا .

« قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا

بكم . إن أطيع إلا ما يوحى إليّ وما أنا إلا نذير مبين ،

الاحقاف

وقال تعالى :

« قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا

أقول لكم أني ملك ، ٩ : الأنعام

وعندما غنت جارية - في عرس - وقالت :

وفينا نبي يعلم ما في غد

قال لها النبي : لا تقولي هكذا . وقولي ما كنت تقولين .

فحمد - في ذاته - وفق قانون بشريته - لا يعلم الغيب ،

والقرآن أخبر بكثير من المغيبات ، وصدقها الآيات والأيام .

والغيب عنيد . من دخله بدون وحي فضحه . وكذبه .

فن أين جاء محمد بهذا القرآن ؟؟

جولد : هذا المجاس حول فكري .

ما كنت أعتقد أن منهج الإسلام بهذا الوضوح .

عارف : الإسلام قضية عادلة .

غير أنه وقع في أيدي محامين فاشلين .

جولد : لا يوجد في الغرب من يوضح هذه الحقائق للشباب

ما جمل لصوص العقائد يقدمون الباطل ويخفون الحق . وهم

أمنون من فضيحة باطلهم .

عارف : هذا قدرنا - يا مستر جولد -

المعركة ضارية ، والسلاح قليل .

على أى حال تعود إلى موضوعنا .

لقد علمت يا مستر جولد أن دعوة تعلم محمد من الرهبان

تعتبر تزويراً للتاريخ .

ودعوة أن القرآن نسخة محرّفة للكتاب المقدس لا يقبلها

عقل . (١)

لأن القرآن مصحح لما أحدثه الزمن في هذا الكتاب .

ودعوة الاستبطان الذاتى ، يردّها وجود المفاهيم الصادقة

في القرآن . فالمنهيات لا تدرك بالاستبطان الذاتى ولا

(١) قال لى أحد المجادين عندما أخرجته هذه الحقائق

الثابتة : ربما تعلم محمد من التوراة والإنجيل الأصليين .

فضحكتم وقالت له :

كلامك هذا معناه إن كتابك - الذى تؤمن به ليس أصلياً ،

بل محرّفاً .

فاعتذر بأنها عبارة غير مقصودة .

بالتأمل .

فمن أى مصدر جاء النبي بهذا القرآن ؟

يا مستر جولد :

ما رأيك فى العلم الحديث .

جولد : خدم الإنسانية ، ويجاوب أن يستخر كل شىء لخدمة
الإنسان . والعلم استخدم منهج التجربة والمشاهدة لإدراك
الحقائق الكونية .

عارف : هل يمكن للتأمل الفكرى أن يكتشف حقائق عالم الفلك
والتشريح والفضاء ؟

جولد : لا .

عارف : سوف أقرأ عليك بعض آيات القرآن ، لتعرف
هل يمكن للنبي أن يتوصل إليها عن طريق التأمل أو دراسة
الكتاب المقدس ؟

تلكم القرآن عن شكل الأرض فقال : والأرض بعد ذلك

دحاهم ، ٣٠ النازعات

والدحية هى البيضة .

فهل هناك علاقة بين البيضة وشكل الأرض (١) ؟

جولد : أدق تشبيه الأرض هو هذا التشبيه .

الأرض فعلا بيضاوية الشكل .

والآية تحمل فهماً آخر - من ناحية اللغة -

العرب يقولون : دحى المطر الحصى - إذا باعد مكانه .

فيحتمل أن يكون معنى الآية - أن الله دحى الأرض أى فرق

القارات بحد أن كانت متماسكة .. وخريطة القارات تؤكد أنه

لو وضعت كل قارة بجوار الأخرى - تكمل بعضها بعضاً .

جولد : هذه أحدث النظريات في موضوع القارات .

عارف : هل يمكن أن يكون قول القرآن هذا من دحى

التأمل ؟

(١) سبق أن تكلمت عن هذه الآية في رسالة - هذه

عقيدتك يا ولدى - بشئ من الإسهاب . وبينت العلاقة بين

بيضاوية الأرض وتوزيع الماء والمرعى عليها .

جولد : احتمال بعيد .

عارف : وأبعد منه أن تسمع هذه الآية - التي أخبرت أن
السموات والأرض كانتا ملتصقتين ثم فلقها الله . ثم لا توقن
بأن هذا القرآن منزل من عند الله .

أقد أثبت صعود الإنسان إلى القمر ، وإحضار قطع منه
وتحليلها .

كا أثبتت دراسة الإنسان للشهب والنيازك - التي تصلنا من
الكواكب - أن المادة التي خلقت منها هذه الكواكب كلها
مادة واحدة .

وهذا يؤكد ما أشار القرآن الكريم إليه في قوله تعالى :

(أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا
رتقاً ففلقناهما) ٣٠ الأنبياء

جولد : هذه حقائق علمية لم يعرفها العلماء إلا في القرن
الماضي .

عارف : فمن علمها للنبي - صلى الله عليه وسلم - ١٤

أقد تسلم القرآن عن أسرار الفضاء - التي لم يعرفها الإنسان

إلا في القرن العشرين عندما تقدمت صناعة الطيران والصواريخ
- فأنت تعرف - يا مستر جولد - ان الإنسان كلما صعد إلى
أعلى - بالطائرة أو بالصاروخ - كلما شعر بتغيير في الضغط ،
وضيق في التنفس .

وقد اخترعت وسائل علمية لحفظ الطيارين ورجال الفضاء .
ما رأيك يا مستر جولد . في أن القرآن شبه ضيق الصدر
الذي يصيب الحائر ، بضيق الصدر - الذي يصيب من يصعد
في السماء .

الضال بضيق صدره بكفره .

والذي يصعد في السماء بضيق صدره باختلاف طبقات الجو
ونقص الاوكسجين . قال تعالى : **ومن يرد أن يضله يجعل**
صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ،

١٢٥ الانعام

وكلمة **يصعد** ، تفيد الصعود من درجة إلى درجة أعلى منها
بمشقة وضيق صدر .

قال القرآن هذا - وأعلى مكان يمكن للرجل يومها أن يصعد
إليه هو جبال مكة ، وكشف العلم سر الآية عندما ركب
الإسبان الصاروخ .

فهل كان محمد خريج كلية الطيران ؟

جولد : إننا نعرف وعظ الرهبان وكلامهم .

إن محمداً يتحدث من وراء الغيب .

القرآن شيء آخر .

شيء آخر فعلاً .

وهذا الحوار يحترم عقل .

ويبدو أن الرياح تدفع السفينة أسرع وأسرع إلى الحقيقة

ويضع جولد ييارد رأسه بين يديه ويغمض عينيه ويقول :

حتى الغضاء يتحدث عنه القرآن . . . !!

وراء القرآن سر عظيم .

إن العالم يفتخر الآن بدراسة الغضاء .

عارف : يا مستر جولد

تحدث القرآن عن الكون حديث الحقائق من خلقه ،
وتحدث عن جسم الإنسان - حديث العالم بأسراره . وأذكر
لك مثالا :

العلاء اكتشفوا أن حساسية الإنسان تتركز تحت جلده .
والقرآن أشار إلى هذا السر قبل العلم بألف عام : لقد جعل
القرآن منطقة الجلد هي منطقة إحساس أهل النار بالعذاب .

قال تعالى : إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا
العذاب . أن الله كان عزيزاً حكيماً ،
٥٦ النساء .

فكلما احترق الجلد بدلهم الله جلوداً آخر ، لأن الجلد هو
مركز الإحساس . وذلك ليذوقوا العذاب .

ويومها يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا
يعملون من سوء في الدنيا .

ولكنهم يمانون جلودهم فقط :

قال تعالى : وقالوا جلودهم لم شهدتم علينا ؟ ،

قالوا أنطقنا الله -- الذي أنطق كل شيء -- وهو خالقكم
أول مرة وإليه ترجعون

حتى عندما يخبر القرآن بمعوم العذاب لباطن الجسد --
وظاهره ، يؤكد القرآن على الجلد .

قال تعالى : وفالذين كفروا قطعتم لهم نيباب من نار
يصب من فوق رؤوسهم الحميم . يصهر به ما في بطونهم
والجلود ،
٢٠ الحج

فهل يتصور عاقل أن مثل هذا الكشف العظيم لسر من
أسرار الجسد عليه محمد عن طريق الاستبطان النفسى ،
أو معاينة البيئته ، أو من الكتاب المقدس ١١٩

• • •

وهل القرآن إذا أخبرنا . أحل تكوين الجنين فى بطن الأم .
وسبق خاق العظام للحم ، وتكوين جدار الرحم من طبقات
ثلاث ، ثم يأتي علم التشريح ويدرك الطبقات الثلاث المبارية
والأميونية والحريرية .

وهى أنسجة لا ينفذ منها الضوء ولا الصوت .

قال تعالى :

وَيَخْلُقَكُمْ فِي بَطُونٍ أَمْهَاتٍ كَمَا خَلَقَكُمْ مِنْ بَعْدِ خَلْقِ فِي ظُلُمَاتٍ
ثَلَاثَ ، ٦ الزمر

هل يمكن أن يكون محمد قد درس الشريعة ، وتخصص
فيه ؟

والفضاء أتقن علومه ؟

والسكون أحاط بأصله وسره ؟

يامستر جولد :

إن القرآن إن تحدث عن الماضي صدقه التاريخ . وإن تحدث
عن المستقبل صدقته الليالي والأيام . وإن تحدث عن السكون
صدقته العالم الحديث .

فهل هذه العلوم من نوع معارف الرهبان ؟

أم حرفة محمد من الكتاب المقدس ، وأخذها من أصحاب
معارف هزيلة بالكتاب المقدس كما يقول : « كارل
بروكلمان ؟ »

أم نبعت من نفس محمد نتيجة التأمل ؟

لقد عرضت عليك القضية بتفاصيلها، وتركك لك الحكم.

جولد : التفسير الوحيد الذي يفرضه العقل أن هذا القرآن
من عند الله ...

أجل ... من عند الله ...

بكل هدوء أقول : هنا الحقيقة ...

محمد رسول الله ...

محمد رسول الله ...

لأن آمنتم بربكم ... فاسمعون ...

رده الجالسون الشهاديين . ورددهما جولد بياوحدك والدموع
من الفرح قسيل ، وسيطرت على الجميع أشراقة نورانية وهنا
بعضهم بعضا .

وحان وقت صلاة الفجر ، ووقف مسلم جديد بين صفوف
أهل الحى لأنه « جولد بيسارت المهندس البلجيكي ،
« ربنا آمننا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع
الشاهدين . »

الباب الثاني

الفصل الأول

- . الحقائق التاريخية أولا .
- . مل حاكمة الفلاسفة ؟
- . عبيد قادوا الأحرار .
- . الذين استرقوا الأحرار ، هم الذين يهتمون الإسلام
باسترقاق العبيد .

زار الشيخ أحد الأصدقاء ، بعد غيبة عن فيها اللقاء ، فقبل
بالترحاب واللقاء ، والبصر والهناء .

وبعد جمال الترحاب ، ومسامرات الاحباب .

سأل بعض الحاضرين عن قضايا الدين .

فهلل الشيخ للسؤال وأفاض المقال :

عمار : يشغلني موضوع هام يثيره الشباب دائماً وأحب أن
أعرف رأي الاسلام فيه .

لماذا شرع الاسلام الرق ، وهو دين المساواة والحرية ؟

عارف : يخطئ . كثير من الشباب فهم الدور الذي قام به

الاسلام في قضية العبيد .

مشكلة العبيد مشكلة صعبة .

بدأت مع فجر الحضارات القديمة ؛ وأقرتها كل النظم القديمة

والدهوات الصاوية - التي سبقت الاسلام - حتى الفيلسفات

المثالية أقرت هذا النظام على علمته ولم تفكر في منح العبيد أى

حقوق على سادتهم ، - ولا حتى في مجال الخيال المثالي - الذي

لا يكلفهم شيئاً .

فأرسطو قال : لا يزال في العالم أناس خلقوا للسيادة ،

وأخرون خلقوا للطاعة ، فهم كالألات الحية التي تساق للعمل ،
ولا تدرى فيما تساق إليه .
هذا رأى أرسطو .

• • •

وفي جمهورية أفلاطون ،
يقسم الناس إلى أقسام ثلاثة :

القسم الأول : الحكام

ويدعى أن الآلهة وضعت في طبيعتهم ذهباً ليتمكنهم من
السيطرة والحكم .

القسم الثاني : المساعدون للحكام .

ويدعى أن في طبيعتهم فضة .

القسم الثالث : طبقة العمييد

ويدعى أن في طبيعتهم حديداً ليكونوا زواجاً وعمالاً .

الرومان :

وفي الرومان صاحبة القوانين الرومانية - التي لم تول
تدرس حتى الآن -

حرموا المبيد من الميراث ، والأسرة ، وحق التقاضي
أمام القضاء .

واعتبروا المبيد شيئاً . لا شخصاً .

فلما دخلت الديانة المسيحية الرومان تأثر القانون الروماني
بمساحة الديانة الجديدة فحرم - لأول مرة في التاريخ - على
المبيد أن يقتل عبده .

. . .

اليهودية :

أما الديانة اليهودية . . فقد أباح لليهود إذا حاربوا بلداً
وانتصروا عليها . . أن يأسروا كل نساءها وأطفالها . أما الرجال
فيجوز قتلهم ، ويجوز أسرهم ليصبحوا عبيداً إلى الأبد .
« اقرأ سفر التثنية - الاصحاح العشرين »

النصرانية :

وجاءت النصرانية . واكتفت بأن تطالب من المسيحيين أن يطيعوا ساداتهم . وقد جاء في رسالة بولس ما يؤكده هذا . ظلت المشكلة كما هي منذ فجر الحضارة حتى جاء الاسلام . وعندئذ بدأت المشكلة تهيأ للحل .

• • •

الاسلام :

إن أول عبد مال حرّره - في الاسلام - هو بلال بن رباح الحبشي - الذي اشتراه أبو بكر وأعتقه ليخاطبه من التعذيب .

فبلال أول عبد حرّره الاسلام .

وأبو بكر ... أول من حرّر للمسيحيين .

• • •

عماد : هذا عرض تاريخي جيد ، ولكنه موجز .
نريد أن نعرف المزيد .

هارف : الكتاب هو الصديق الذي لا ين ، ولا يمل

فاقرأ : كتب الفقه الإسلامى فإن فيها أبواباً لحقوق العبيد .
واقراء « حقائق الاسلام » لعباس محمود العقاد ، واقراء
« لارق فى الاسلام » للأستاذ ابراهيم الفلالى « وشبهات حول
الإسلام » الأستاذ محمد قطب « والاسلام والعبيد » الأستاذ
ابراهيم النعمة .

عماد : ولكن وجودك فرصة .

عارف : الاسلام لا يعرف الشعارات ولا يمكن وضع الحلول .
أنا أعرف جيداً أن الشرق والغرب وتلاميذهما فى بلادنا
يرددون على مسامع شبابنا هذه القضية دائماً معتقدين أنهم
سيقمنون الاسلام وينالون منه .

وقبل أن أجيبك عن موقف الاسلام من هذه القضية
أسألك .

مارأيك فى سفينة تحطمت فى وسط البحر ، وكاد يغرق
كل من فيها ، وأعرضت كل السفن المجاورة لها عن إنقاذها ،
ولكن قبطاناً ماهراً حاول بكل قوته العسكرية والجسمانية

أن ينفذ من يستطيع من الغرق .

هل ترى من العدل أن تحمله مسؤولية الذين ماتوا ، ولم
يستطع إنقاذهم ؟

عماد : لا ... ربما لو عاونته السفن الأخرى لنجا الجميع .
على أي حال يجب أن يُقدَّر ويشكر .

عارف : لقد جاء الإسلام فوجد مشكلة العبيد عالمية الحجم
قديمة التاريخ ، معقدة الجوانب .

فوضع منهجاً متكاملًا لحلها .

لقد شرع الإسلام العتق .. ولم يشرع الرق .
« العقاد »

فوضع منهجاً متكاملًا للعتق وتحرير العبيد .
وينقسم منهج الإسلام إلى ثلاثة أقسام :

* أولاً : تأمين الأحرار على حريتهم .

* ثانياً : تصفية المشكلة ومنع الجرية العبيد .

ثالثاً : تأمين حياة الذين لم يحصلوا على الحرية وإكرامهم

• • •

فأول شيء فعله الاسلام هو تأمين حرية الأحرار . و
يكن هذا أمر سهل .

لقد كان الصبي الحر يُسرق من أهله ويباع فيصبح عبداً
وربما عجز المدين عن سداد دينه فيصبح عبداً للمرابي -
صاحب الدين .

وغارات السلب والنهب - التي كانت تقوم بها القبائل لسرقة
المال وسبي العيال من المستضعفين لا حرج فيها .
جاء الاسلام فحرم كل هذا . ليؤمن الأحرار على حرياتهم .

قال صلى الله عليه وسلم :

ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته
= أي انتصرت عليه أطام الله =

رجل أعطى بنى ثم غدر. (١)

ورجل باع حراً وأكل ثمنه .

ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره . (٢)

وعندما أمن الإسلام الأحرار على حريتهم فقد حاصر
مشكلة ، ومنع امتداد الحريق .

• • •

تبقى أمام الإسلام مشكلة العبيد — الذين ولدوا هكذا أو
أروا عبيداً بعد ولادتهم .

أولاً : فتح الإسلام أمامهم باب الحرية العادلة .

عماد : ماذا تعنى بكلمة الحرية العادلة ؟

عارف : أعنى أن الإسلام راعى جانبيين .

(١) أعطى بنى — أى عاهد ثم غدر .

(٢) الحديث رواه البخارى .

الجانب الأول : هو رغبة العبد في الحصول على الحرية .
والجانب الثاني : هو أنه حافظ للسيد على أمواله التي بذلها في
شراء العبد أو تربيته .

الإسلام دين عادل ... لذلك شرع عقد يبيع الحرية للعبيد
- أي عقد المكاتبه - وهو يعني أن العبد إذا رغب في الحصول
على الحرية يتفق مع سيده على مبلغ من المال يدفعه له السيد
فيصبح حراً .

قال تعالى : والذين يبتغون المكاتب عما ملكت أيمانكم
فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً . وآتوهم من مال الله الذي آتاكم
٣٣ النور

عناد : من أين يدفع العبد هذا المال ، مع أن كسبه - دائماً -
لسيده ؟

عارف : قد راعى الإسلام هذا الأمر جيداً .
فبمجرد توقيع العقد يصبح كسبه لنفسه لا لسيده .
بل طلب الإسلام من الجماعة المسلمة أن تعينه على ممن الحرية ،
وهذا معنى قوله تعالى :

وأتوهم من مال الله الذي آتاكم ، ٣٣ النور

عماد : ربما يتمتع سيده عن المكاتبه .

عارف : الأمر القرآني يُرغّب المسلم في القبول .
والمسلم بطبعه ليس أنانياً .

ومع ذلك لو امتنع السيد عن التوقيع على عقد المكاتبه ،
يمكن للعبد أن يرفع الأمر إلى القاضي ، فيرغمه القاضي
على القبول .

عماد : وإذا تم توقيع العقد ، وتمصر العبد في السداد ولم
يجهد من يمينه ؟

عارف : أفق الإمام على - كرم الله وجهه - بأن العبد
إن عجز عن تدبير المبلغ ، يدفع القيمة التي درها سيده . وبمجرد
أن يدفع القسط الأول يصبح حراً ويلزمه بقيمة المبلغ (كدين
مدني) عليه تسديده عند الميمنة ، ولا يرجع للعبودية بسبب
عجزه عن السداد .

عماد : نعم الفتوى ، ورضى الله عن أمير المؤمنين على
- كرم الله وجهه -

يا فضيلة الشيخ :

أنت قلت الآن : إن الاسلام فتح باب الحرية للعبد الراغب فيها .

هل يمكن أن تتصور عبدا لا يرغب في الحرية ؟
عارف : الحرية تعنى المسؤولية .

وبعض العبيد توتروا على العمل الجسدي فقط .
ولم يُهدوا لتحمل المسؤولية .

وبعضهم تبلد عنده الشعور بالعبودية ، فأصبح لا يألم بها .

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بيت ايلام

وامثال هؤلاء لم يفكروا في دفع ثمن الحرية ، لرضام
العيش في ظل سادتهم .

ومع ذلك لم يحرمهم الاسلام من الأمل في إهداء الحرية
لهم بلا ثمن .

عماد : يحصلون على الحرية بدون أن يطلبوها ؟
عارف : نعم .

شرح الاسلام باب العتق للقربة إلى الله - سبحانه - وقد أخبر
النبي - ﷺ - أن من أعتق عبداً حسبة لوجه الله ، أعتق
الله رقبتة من النار . وأيما رجل أعتق امرؤاً مسلماً امتنقه الله
بكل عضو منه عضواً منه - أي من سيده - من النار .
« رواه البخاري »

ولقد كان أبو بكر الصديق هو أول من أعتق عبداً في
الاسلام . عندما اشترى بلالا وأعتقه .

وكان عمر بن الخطاب يذكر دائماً هذا السبق لأبي بكر فيقول :

رحم الله أبا بكر .

كان سيدينا .

وأعتق سيدينا .

« أمد الغاية ج ١ ص ٢٠٩ »

وقد دعا القرآن لفك رقاب العبيد ، كما دعا الحسن
معلمهم .

فشرح الإعتاق على وجه القربة لله . قال تعالى :

« فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة . فلك رقبة ،
سورة البقرة

كما شرع الله العتق في كفارات ثلاث ، بالنص القرآني .
القتل الخطأ ، للظهار ، وكفارة اليمين .
أولاً : من قتل مسلماً خطأ . فليعرض المجتمع المسلم بتحرير
رقبة من العبودية . قال تعالى :

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ . . .
« ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة . . .
« ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا ، ٩٣ النساء

ثانياً : إذا حرم الرجل امرأته عليه وقال لها :
أنت محرمة علي كظهر أمي . ثم هزم على الرجوع فيها
قال . . .

« فلا تحمل له زوجته حتى يكفر عن ظهاره .
قال تعالى :

« والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير
رقبة من قبل أن يتماسا . ذلكم ترهظون به واقع بما

تعملون خبيراً . (١) ۳ المجادلة

ثالثاً : شرع الاسلام كفارة اليمين - الذي أقسمه المسلم
على شيء في المستقبل يعزم أن يفعله ثم لم يستطع . أو يرمم
على عدم فعله ثم فعله .
فعليه كفارة هذا اليمين .
قال تعالى :

لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم . (٢)

(١) روى أن خولة بنت ثعلبة ظاهرها زوجها فلما اشتكت
للنبي قال لها النبي : لا أراك إلا قد حرمت عليه . فلما اشتكت
أمرها الله أنزل الله حلالاً لمسكاتها وشرع الكفارة .

ومضمون هذا الحادث يؤكد أن القرآن من عند الله ، لأن
القرآن أفتى بغير ما أصر عليه النبي من تحريم خولا على زوجها
أوس بن الصامت .

(٢) كأن يقول نعم والله ، أو لا والله ، وهو لا يقصد
اليمين . وكان يقسم على شيء في الماضي يعتقد أنه صادق فيما يقول
ثم يبين خطاه .

ولكن يؤخذكم بما عقدتم الإيمان . (١)

فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم
أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ،

٨٩ المادة

فكلما جاءت فرصة للخير وجهها الاسلام إلى تحرير العبيد .

وإذا كانت هذه الحلول يتبناها المجتمع المسلم ، فإن ذلك
لا يصرف همه الدولة عن المساهمة في هذا الأمر الخطير . فقد
جعل القرآن سهماً من الزكاة لفك الرقاب .

قال تعالى :

الإنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة
قلوبهم وفي الرقاب (٢)

٦٠ التوبة

الدولة والأفراد وحتى العبيد أنفسهم يتعاونون على منح

(١) بأن يقسم على شيء في المستقبل أن يفعله أو لا يفعله
ثم لا ياتزم بيمينه .

الحرية للعبيد - كتمارنهم على ضروريات الحياة .
عماد : وإذا لم يقدر العبد على شراء حريته ، ولم يسعده
الحظ فيحظى بمن يهبها له .

هل يعيش عبداً معذباً ؟

عارف : يبدو أنك لم تدرس صورة المجتمع في ظل
الإسلام .

الناس في ظل الإسلام سواسية كأسنان المشط . لا فضل
لأحد على أحد إلا بالتقوى .

التقوى التي جعلت من بلال مؤذناً للرسول وخازناً له . .
التقوى التي جعلت سلمان الفارسي من آل بيت النبي صلوات الله وسلامته عليه
ورضى الله عنهم .

وجعلت أسامة بن زيد أحب الناس إلى رسول الله صلوات الله وسلامته عليه .
وامنع هذه الحادثة :

فرض عمر بن الخطاب لأسامة بن زيد - رضي الله عنهما -
خمسة آلاف درهم - كل عام . بينما فرض لعبد الله بن عمر
ابن الخطاب ألفي درهم فقط .

فقال عبد الله لأبيه ١

فضلت أسامة على . وقد شهدت من المعارك ما لم يشهد .

قال عمر - رضى الله عنه - :

إن أسامة كان أحب إلي رسول الله منك ، وأبوه كان أحب إلي
إلى النبي من أبيك .

، أسد الغابة ج ١ ص ٦٥ ،

فالتقوى . . والتقوى فقط . . هي دائرة التفاضل في
المجتمع الاسلامي .

وقد عمل الاسلام جاداً على إزالة التعاهيد التي تركها الروم
في وجه العبيد . وأعاد لهم الكرامة الصليبية .
أولاً : فتیان لا عبيد

استبدل القرآن كلمة (عبد) وكلمة (أمة) بكلمتي (فتى وفتاة)

وذلك ليربي الأمة على خلق جديد .

قال تعالى :

إذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ،
٦٠ الكهف

وفي قصة يوسف :

« وقال انفتحانه اجعلوا بضاعتهم في رحاطهم اعلمهم يعرفونها ،

٦٢ يوسف

وأنت تعرف يا عماد أن كلمة فتى تطلق على الحر وعلى العبد

سواء بسواء .

قال تعالى عن إبراهيم - وهو حر ، وابن حر .

« قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ،

٦٠ الانبياء .

كما استقبل كلمة « أمة » الالهي بكلمة فتاة .

قال تعالى :

« ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات

فن ما مَلَكَت أيماكم من فتياتكم المؤمنات ،

٢٥ النساء .

لذلك نرى النبي - ﷺ - يؤدب الناس بأدب القرآن

فيقول :

لا يقل أحدكم يا هبدي ويا أمي ...

بل يقل : يا فتى ويا فتاتي .

عماد : لكن جاء في القرآن الكريم « والصالحين من عبادكم
وإيمانكم » ٢٢ النور

عارف : هذا صحيح .. أكرمك الله .
هذه هي الآية الوحيدة - في كل القرآن - التي استعملت
كلمة عبادكم .

لكنها جمعت (عبد) على (عباد) .
وأنك تعرف أن الجمع على (عباد) يخالف الجمع على (عبيد)
يقال في مقام التبذير « عباد » .

قال تعالى « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً »
٦٣ الفرقان

وفي مقام الغضب يجمع القرآن كلمة (عبد) على (عبيد) .
قال تعالى : « وما ربك بظلام للعبيد »
٤٩ فصلت

فأف - سبحانه - قال : « والصالحين من عبادكم » ولم يقل
والصالحين من عبيدكم .

هذا من ناحية لفظ الآية السكينة .

أما موضوع الآية . . فهو إلزام المجتمع المسلم أن يعامل في تزويج العبيد والإماء - حتى يسد حاجتهم النفسية ويحفظ من الانحراف .

مؤلاء هم العبيد في ظل الإسلام
أوجب الإسلام على المأداة :

إطعامهم بما يأكلون . وكسوتهم بما يلبسون . ثم تزويجهم .

يا عماد :

العبيد - في ظل الإسلام - جزء من الأسرة الإنسانية الكبيرة .
يتزوج الأحرار من العبيد .

قال تعالى : « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات
المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات -
والله أعلم بآيائكم - بضمكم من بعض . فأنكحوهن بإذن أهلن
وأنوهن أجورهن بالمعروف »
٢٥ النساء

ويستفاد من الآية الكريمة .

- ١ - رفع الحرج - الذي كان يصيب العربي - إذا تزوج من أمة .
- ٢ - أن الأحرار والإماء أسرة واحدة - بعضهم من بعض - لأنهم جميعاً من آدم . وآدم من تراب .

وبعضكم من بعض في الإيمان أيضاً .

وما وراء الإيمان أمور لا ينبغي الالتفات إليها .
« إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

(راجع تفسير آيات الأحكام ج ٢ ص ٧٩)

وقد أكد النبي هذا الإحسان في قلوب الناس .

« إخوانكم خولكم . . . فن كان أخوه تحت يده . . .
فليطعمه مما يأكل . . . ويالبسه مما يلبس . . . ولا تكلفوهم
ما لا يطيقون . . . وإن كلفتموهم فأعينوهم » (صحيح مسلم)
ويفهم أيضاً من الآية السابقة أن الفتاة جزء من الأسرة
- التي تعيش فيها - مع ساداتها - وساداتها هم أهلها .
« فانكحوهن بإذن أهلن ، أى بإذن ساداتها . وانكحن

ظلال التعبير القرآني له أمر عظيم - فلم يقل : فانكحوا من
بإذن ساداتهن . بل قال بإذن أهلن ، ليثبت الولاية .
صاحب البيت : يا عماد يا ولدي لقد شغلت الشيخ وأتعبته
وأود أن تسأل الشيخ عن حاله وعياله ؟

عارف : واقه كلهم بخير والحمد لله .
معام في التعليم الثانوي وشيخاه في السادس الابتدائي ،
وأهمهم تعيش في خير حال - والحمد لله -

أبو عماد : إن شاء الله سنزوج عماداً لغيره . وههنا
لوفاء ابنتي .

ما رأيك يا شيخ عارف ؟

عارف : هذا حديث سابق لوقته .
لا بد من نمو الأولاد أولاً . ثم يصبح لهم الاختيار .
أبو عماد : ورأينا يا شيخ عارف ؟

عارف : رأي الوالدين استشاري فقط .
والكلمة الأولى والأخيرة للشباب والفتاة .

عماد : دهونا من موضوع الزواج انرجع إلى موضوع العبيد
عارف : لقد أصبحت أنسى كثيراً يا عماد .
ما هي النقاط التي ذكرتها لك ؟

عماد : أنت تمتحنى يا شيخ عارف ..
لقد تحدثنا عن تاريخ المشكلة .

وتحدثنا عن موقف الإسلام من تأمين حرية الأحرار .
وفتح باب العتق العادل - الذي يكفل للسيد حقه ، وللعبد حريته .

وتحدثنا عن هبة الحرية . قربة إلى الله ، أو كفارة لقتل
خطأ ، أو ظهار أو يمين .

وعرفنا حسن معاملة الأسي - للام للعبيد في حياتهم المادية
والأدبية .

عارف : أحسنت يا عماد .

ومن ناحية حرمة الدم .

فقد ساوى الإسلام بين دم العبد ودم الحر .

قال - ^{صلى الله عليه وسلم} - : من قتل عبده قتلناه . ومن جدد عبده
جددناه . ومن أخصى عبده أخصىناه ،

رواه البخارى ومسلم

فالدماء متكافئة بين الأحرار والعبيد .

عماد : لكن القرآن يقول : العبد بالعبد .

عارف : لإقرأ الآية من أولها فإنها عامة في تسوية الدماء

بين المسلمين - أحراراً وعبيداً ، رجالاً ونساء -

قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في

القتلى ... الحر بالحر .. والعبد بالعبد .. والآن بالآن ..

١٧٨ البقرة

فصدر الآية يفيد عموم القصاص في كل دم أريق ظلماً .

و كتب عليكم القصاص في القتلى ،

سواء كان المقتول حرّاً أو عبداً ، رجلاً أو امرأة .

أما قوله تعالى : الحر بالحر ، والعبد بالعبد .

فجاء علاجاً لمشكلة جاهلية .

بعض عشائر العرب كانت تأخذها البرة بالإثم .

فإذا اعتدى عبد من عشيرة أخرى على عبد منهم يقسم أحدهم
أن يقتل حراً - بريئاً - بدم العبد المقتول منهم ، وإن قتلت
امرأة منهم يقتلون بدمها رجلاً - ولو كانت القائلة امرأة .

وفي ذلك من الظلم ما فيه ، لأن القاتل ينجو ويقتل مكانه

بريء .

فنهام الله عن ذلك ، وطلب منهم العدل في القصاص .

فلو قتل عبد عبداً فالقصاص من القاتل نفسه .

لا يجوز أن تمتداه إلى برئ . ولو قتلت امرأة امرأة

فالقصاص من القاتلة .

• • •

عماد : بارك الله فيك يا شيخ عارف . ولكن ما معنى

الآية الكريمة ؟

والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت

أيمانهم فإنهم غير ملومين ، ٦ المؤمنون

عارف : يا عماد . لقد أباح الاسلام للسيد أن يماشر
فئاته - غير المتزوجة - معانرة الأزواج .
وذلك لإشباع حاجتها كأنتى من ناحية -
وليصدق عليها العطاء والزينة من ناحية أخرى .
لأنها ستمعيش في فراشه .

والأم من هذا أنه إن رزق منها بمولود - واعترف بنفسه
منها - فإنها تصبح أم ولد - وينقلها ولدها إلى العهرية بمجرد
موت أبيه .

هذا إذا لم تكن متزوجة .

أما إذا كانت متزوجة ، أو زوجها سيدها - من رجل آخر -
فلا يجوز لسيدها أن يماشرها ، لأن الاسلام لا يعرف
شيوخ الجنس .

أبو عماد : يا شيخ عارف شغلك عماد عنا .

والعشاء جاهز .

وقد أعدت لك سمكة نهريّة طيبة .

قم يا شيخ . . .

« يقوم الشيخ ويجتمع الأجاب على الطعام »
وبعد الطعام يعود الحوار :

عماد : كل شيء تكلمت به في الحديث عن العميد أراح

صدرى . . .

ولكن لماذا لم يحرم الإسلام الرق تحريماً نهائياً كما حرم
الخمر ؟

عارف : الحلول النظرية سهلة .

ولكن الإسلام يعالج الأمور بحكمة وعدل .

فهو يبحث عن الحرية العادلة . ورحم الله أحمد شوقي
وهو يصف منهج النبي في معالجة الأمور فيقول :

داويت متئداً وداووا طفرة

وأخف من بعض الدواء الداء

عماد : لكن الغرب استطاع إلغاء الرق بقانون واحد .

عارف : لماذا ألغى الغرب الرق ؟

عماد : احتراماً لحقوق الإنسان .

يضحك الشيخ ، ويتمجب عماد من ضحكك ،

عماد : هل تضحك من إجابتي يا فضيلة الشيخ ؟

عارف : لا يا عماد .

ولكنني أحب أن تعرف أن الحقيقة شيء ، وسأردده أجهزة
الأعلام في الغرب ولسمعه من لاعيد الغرب في بلادنا ، شيء آخر

إن الذئب إذا لبس ثوب الحمل الوديع ، وأمسك بمسبحة
المبارك ، تفضحه أفعاله حتما .

عماد : « مستغربا » ماذا تعني يا فضيلة الشيخ ؟

عارف : يا ولدي . الغرب لا يعرف القيم .

منطوية من ظن يوماً أن الشعب دين .

إن تجارة المبيد في الغرب كانت من أرباح التجارات ،
وكان الغرب يغير بقوافل كبيرة مسلحة على أفريقيا
ويسرق أطفالها ، ويسبي شبابها لبيعهم في أوروبا .

حدث ذلك بعد أن اتصلت الملاحة على ساحل الأطلسي ،
وارتبط العالم الحديث بالعالم القديم .

ففي أقل من خمسين عاماً نقل تجار الغرب إلى أوروبا

عبيداً يبلغ عدد الباقي من ذريتهم - بعد القتل والاضطهاد
نحو خمسة عشر مليوناً في الأمريكتين . وهو عدد يضارع
خمسة أضعاف ضحايا الخامسة - يعنى بيع العبيد - في
القارات الثلاث منذ ألف عام .

د حقائق الإسلام لعباس محمود العقاد ،

في خمسين عاماً استرقوا حوالى ١٥ مليوناً فهل الغرب
يعرف القيمة ؟

عماد : لىكن الغرب بعد ذلك ألغى تجارة العبيد وحررم
عارف : يا عماد بارئدى .

يوم أن كان الغرب بحاجة إلى خدم يستخرجهم لقضاء حاجته
في أوربا وأمريكا . كان يسمح بمرقة الأحرار السود ، ونقلهم
لبلاده ، ويبيعهم في سوق العبيد .

فلما جاء الغرب واستعمر بلادنا ، وهزم على سرقة خيراتها
وجد نفسه بحاجة إلى بقاء السود في بلادهم ليورعوا
الأرض ، وينقبوا عن المعادن ، ويحندهم في الممارك الخامسة .

أبقى الاستثمار على السود في أفريقيا عندما احتاج إلى الأيدي
العاملة الرخيصة في أفريقيا .

أبقاهم عبداً له وتحت سياطه ، وحرّم نقلهم إلى أوروبا .
احتراماً لأخلاق المنفعة - التي يؤمن بها الغرب .

يا عماد . .

لأن دلالة العمل أعظم من دلالة العبارات .

كيف نصدق الغرب في دعواته حقوق الإنسان ونحن نرى
داخل بلاده ، مشكلة الملونين ، لم تجد لها حلاً حتى الآن .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد :

فإن في الأمريكتين إلى اليوم أمة من السود معزولة
بأنسابها وحظوظها وحقوقها العملية تماماً عن المجتمع .

حقوق الإسلام

لأن الرجل الأسود - حتى اليوم - لا يدخل مطاعم
البيض . ولا يدخل مدارس البيض . ولا يركب سياراتهم .

ومع ذلك لا يستحي الغرب من دعواه تحرير العبيد ،
واحترام حقوق الإنسان .

• • •

نقول السيدة عائشة رضي الله عنها :

ما بعث رسول الله ﷺ - زيد بن حارثة - في سرية
إلا أمره عليهما قائداً .

ولو بقي زيد بن حارثة لاستخلفه النبي بعده .

أسد الغابة - ص ٢٧٧

وعندما استشهد زيد بن حارثة ، وجهه فر بنى النبي عليهما وقال :
أخوأي ، ومؤنساي ، ومحمدناي .

ولم يذكر القرآن إسم أحد من الصحابة إلا زيد بن حارثة
في قوله تعالى : فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها .

٣٧ الأحزاب

يا عماد . . .

هؤلاء هم العبيد في ظل الاسلام .

لقد عين النبي أسامة بن زيد - وهو في الثامنة عشر من
عمره قائداً على جيش كبير ، كان في طريقه إلى أول معركة
دولية بين العرب والروم .

وكان كبار الصحابة جنوداً في هذا الجيش وكان قرار تعيين أسامة هو آخر قرار أصدره النبي في حياته . ثم لقي النبي ربه بعد أن أصبح العميد قادة . والمهابة جنود . والكامل يعمل لحساب الإسلام .



عماد : لقد غابت هذه الحقائق عنا كثيراً . ولكن - ربما بحكم سني - كنت أنتظر أن تنزل آية تُلغى نظام الرق إلى الأبد . أعتقد - يا فضيلة الشيخ - أنا لا أقترح على الله . ولكنه على حبي الإسلام ...

عارف : لو انتهت الحروب إلى الأبد .

وأغلقت مصانع الأسلحة .

وسرحت كل جيوش العالم .

وعاش الناس جميعاً في محبة .

يومها فقط - يمكن أن يصدر الإسلام أمراً

يلغى الرق .

عماد : هذا خيال بعيد .. الحروب باقية إلى يوم القيامة .

عارف : كذلك الرق - الذي اعترف به الاسلام باق إلى
يوم القيامة .

الإسلام ألغى كل أنواع الرق ، ولم يبح منه إلا اشتراكي
أسير الحرب - الذي خرج من يديه يريد حرب الاسلام
وباضعاف شأنه . فوقع أسيراً . ومع ذلك لم يحتم الإسلام على
القائد المسلم أن يسترق كل أسير .

بل جعل للقائد الخيار بين أمور ثلاثة :
أولاً :

أن يمن عليه بالحرية بلا مقابل - إن علم أن الأسير من
النوع الكريم ، ويمكن أن يصاحبه الفخر ويعيده إلى صوابه .
بشرط أن يكون المن عليه بالحرية لا يقوى صفوف الأعداء .
ثانياً :

أن يقبل منه الفداء - مادياً كان - هذا الفداء أو خونه
تعود على المسلمين بالخير - كما فعل النبي ﷺ - مع أسرى بدر .
ثالثاً :

تبادل الأسرى .

وقد أجاز أبو يوسف ومحمد - من تلاميذ أبي حنيفة -
عملية تبادل الأسرى بين المسلمين والمشركين - واستدلوا
على ذلك بما روي أن النبي ﷺ استبدل أسيراً من بني عامر بن
صعصعة بأسيرين من المسلمين كانت ثقيف قد أسرتها .

(تفسير آيات الأحكام ج ٤ ص ٧٠)

وعملية تبادل الأسرى هي النظام المعروف في كل شعوب
الأرض . ولكن الإسلام فاقها بالمنع على الأسير فألقاها قلبه .
قال تعالى :

وإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب . حتى إذا
أخذتموهم فشدوا الوثاق . . . فإما مناً بعت . . . وإما فداء . . .
حتى تضع الحرب أوزارها . . .

فالإسلام شرع استرقاق الأسير - حتى يفدى نفسه ، أو
تقوم الجماعة التي دفعته للمعركة بفدائه .

أو يظل رقيقاً في مجتمع مسلم فهري حياة المسلمين وكرمهم
في معاملة الأسرى فربما يهديه عقله للإسلام ، فالرق باق مابقيت
الحروب .

والاسلام كان يسترى الاسير كما كان محصوم الاسلام
يسترى من المسلمين .

وكل دول العالم حتى الآن تحبس الاسرى في السجون الحربية
حتى تفديهم اموالهم .

عماد : الآن عرفت حقيقة الامر . وفهمت منهج الاسلام
لن الذين قرأنا لهم ظلموا الاسلام وجعلوا منهجه .

طارف : العجيب يا عماد . .

ان الذين يتهمون الاسلام باسترقاق العبيد ، هم الذين
استعبدوا الاحرار !!

عماد : هذا واقع صحيح . . اكرمك الله .

وطلب المجلس من الشيخ أن يريد من البيان
المفيد ، ولكن الشيخ قد اعتذر ، لأن السائق
قد حضر ، فإلى لقاء جديد لنهل ولصنفيد .

الفصل الثالث

في هذا اللقاء :

• الطبيعة وحدها .

• ما جئت لانتقض الناموس .

• زهرة في الصحراء .

• أيهن أقرب إلى قلبه .

• استن كأحد من النساء .

عزم الشيخ على زيارة الويف البديع ، في
إجازة فصل الربيع . لينتم بخيره الوفير ،
وجمال الهدير ، وثقشقة العصافير . وأدرك
شباب القرية ، أن الله ساق لهم هدية .
فسارعوا إلى الشيخ فرحين ، ليتمتعوا
بهديته في الدين . وفرح الشيخ بالشباب ،
وقدم لكل سؤال جواب .

واقول : حمداً لله على سلامتك - يا شيخ عارف -

لقد وجهتني إلى القرامنة ، فدللتني على كنوز زاخرة .

عارف : ما زلت تقرأ المستشرقين ؟

واقول : أنا لا أعصي لك أمراً يا شيخ عارف .

فخالفه الطبيب ، قد تسبب الموت .

لقد قرأت فقه الميرة للإمام محمد الغزالي ، والاستاذ محمد
سميد البوطي ، وحياة محمد . الاستاذ هيكل . وأعجبني
اهتمامه بالمستشرقين والرد عليهم . وأقرأ الآن زاد المماد ،
والروض الأنف .

بقيت عندي مسألة واحدة، أحب أن أنتفع فيها بالحوار
معك . وهي مسألة تعدد زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم -
بل و تعدد الزوجات . بصفتها عامة .

عارف : الحياة الزوجية عند المرأة تمتثل في كل شهر مدة
قد تصل إلى عشرة أيام .

كما تمتثل بعد الحمل والولادة ، بمدة قد تصل لشهرين .
وطباع الرجال يختلف .

فلو تزوج رجل متطرف جسدياً امرأة أخرى فله بعض
العذر حتى لا يقع في جريمة الزنا .

ولكن هذا السبب لا يعنيننا كثيراً .

فالرجل السوي أقوى من رغباته .

ولكن تشريعاً كالاسلام ، يجب أن يأخذ في اعتباره كل

الطباع البشرية حتى يتسع لسكل الناس .

والإباحة غير الإلزام أو الندب .

• • •

ولكن المهم في الموضوع أن الاحصائيات العالمية تؤكد
زهادة عدد النساء على عدد الرجال .

خصوصاً بعد الحروب الكبيرة التي تأكل الرجال .

فلو تزوج كل رجل بامرأة واحدة لبقى عدد كبير من النساء
بلا زواج .

بمثنى طاقات مهطلات أو مسولات جنسياً . فأى الحلين
أكرم للمرأة ؟

وائل : بدون شك الحل الثاني لا يرضاه كريم .

عارف : من أجل ذلك أباح الإسلام تعدد الزوجات .

وائل : يعني المشكلة مشكلة طبيعية والإسلام شرع التعدد
ليعالجها .

عارف : ليس الإسلام وحده الذي أباح التعدد .

الديانة اليهودية قد أباح التعدد بلا قيد .

والديانة النصرانية هي امتداد لشريعة التوراة . لأن السيد

المسيح قال :

« ما جئت لأنقض التاموس ،

وأائل: قلت يا فضيلة الشيخ إن التوراة أباحت التعدد بلائيد.
عارف : نعم .

القرآن وحده هو الذي قيد العدد بأربع نساء .
أما التوراة ، فأخبرت بأن سليمان عليه السلام - تزوج
ثلاثمائة امرأة بمقد داتهم ، وسبع مائة امرأة من الإماء .

« سفر الملوك ١١ - ١ »

وهذا الخبر موجود في الكتاب المقدس - الذي يؤمن به
اليهود والنصارى .

نجيب : « متعجباً ، ألف امرأة !! »

وأائل : الأعبى يا نجيب أن هذا الموضوع لا يثيره أحد من
المستشرقين الذين يهاجون سيرة النبي ﷺ ودائماً يركزون على
زواج النبي وحده .

عارف : اليهود - في العالم - يتحكمون في الإقتصاد ،
وأجهزة الإعلام .

وسليمان .. بهمهم يا وائل .

وأائل : هذا صحيح .

ولكن بقي عندي سؤال :
لماذا زاد النبي على أربع نساء ؟

نجيب : هذه ميزة كانوا الله بها النبي ﷺ .

عارف : هل لإجتماع تسع نساء أرا من ميزة ومكافأة ؟
سأضرب لك مثالا يا وائل :

أحد أصدقائي له ولدان بالجامعة .

أعطى الأول ألف جنيه ، وقال له : ليس لك عندي أى
مال بعد ذلك .

وأعطى الثاني عشرة جنيهات ، وقال له : إن أنفقتها في
أسبوع تخذ غيرها .

فأى الولدين فضله أبوه في العطاء ؟

نجيب : الثاني طبعاً .

لأن باب العطاء أمامه مفتوح .

عارف : بدون تشبيه والله المثل الأهل .

للمسلم أن يجمع أربع نساء في عصمته .

فإذا مات واحدة أو طلقها ، ومضت مدة عدتها . فله أن

يتزوج غيرها ، اليان مفتوح أمامه .

إذا كان قادراً عادلاً (١) .

أما النبي ﷺ فقد أباح الله له تسع نساء ثم قال له (لا يجهل
لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك
حسنهن)

« الأحزاب ٥٢ »

وأهل : ولا يمكن هل يعتبر زواج النبي ﷺ من التسع نساء
استثناءً من الآية الكريمة . قال تعالى (فأنكحوا ما طاب لكم
من النساء مثنى وثلاث ورباع) النساء ٣

عارف : النبي لم يخالف نصاً قرآنياً أبداً . لقد نزلت الآية
القرآنية الكريمة التي حددت العدد بأربع فقط نزلت في السنة
الثامنة من الهجرة ، وكان النبي يومها قد جمع كل نسائه .

(١) المتزوج من أربعة لو طلق واحدة ممنه فليس له الحق
أن يتزوج غيرها حتى تنتهي عدتها ، أي عدة الزوجة المطلقة
وهذه الحالة تجب العدة فيها على الرجل ، كما تجب على المرأة .
« راجع حاشية ابن عابدين ج ٣ ص ٥٠٣ »

عجيب : هل تحفظ تاريخ نزول سور القرآن يا فضيلة الشيخ
عارف ؟

عارف : يا عجيب سورة النساء التي حددت للعدد بأربع
نزلت بعد سورة الممتحنة وسورة الممتحنة نزلت والنبي يستعد
لفتح مكة . ومعلوم أن سبب نزولها هو إرسال (حاطب بن
أبي بلتعنة) للمشركين يخبرهم بعزم النبي على فتح مكة .

فالنبي عندما تزوج تسع نساء كان الجمع مباحا لأي عدد .

ولما نزلت آية التحديد بأربع فقط ، كان بعض الصحابة
هنده أكثر من أربعة .

فاحتفظ بأربعة منهن ، وطلق الباقيات .

واتل : لماذا لم يطلق النبي ﷺ الزائدات ؟

عارف : أي امرأة طلقها لها الحق أن تزوج من رجل

آخر .

أما نساء النبي ﷺ فلا يجوز لأي مسلم أن يتزوج منهن .
لأنهن أمهات المؤمنين . قال تعالى : والنبي أولى بالمؤمنين
من أنفسهم . وأزواجه أمهاتهم . الأحزاب .

لذلك حرم الله على المؤمنين أن يتزوجوا نساء النبي بعده .
قال تعالى : « ما كان لکم أن تؤذوا رسول الله ولا أن
تذکروا أزواجه من بعده أبداً » الأحزاب ٥٢
فلو طلق النبي إحدى نساءه لبقیت بلا زوج .
من أجل ذلك أحل الله نساء النبي له . قال تعالى : « يا أيها
النبي إنا أحلنا لك أزواجك » الأحزاب ٥٠

• • •

وعنك سبب آخر لبقاء نساء النبي عنده .
وهو أن زواج النبي زواج رسالة .
تختلف مقاصده عن أى زواج آخر .
فلو طلق النبي واحدة منهم ، لصاعت الحكمة من الزواج بها
نجيب : ما هى المقاصد التى تعنيها ؟
عارف : مقاصد أربعة :

أولاً : إنسانى .

ثانياً : سياسى .

ثالثاً : تشريعى .

رابعاً : تعلیمی .
وأوجز الحديث في شرحها .

السبب الأول :

سبب إنساني ، كرم النبي - ﷺ - به أراامل الشهداء -
الذين دفعوا أرواحهم لحماية الاسلام تاركين وراثتهم أراامل
ويتامى .

فالارملة المعجوز السيدة سودة بنت زمعة - رضي الله عنها -
تقول : والله لا حاجة بي إلى الرجال ، ولما كنتي أردت أن أبعث
مع زوجات النبي أمهات المؤمنين .

والارملة الثانية - أم سلمى - وهي أرملة ذات يتامى
تزوجها النبي بعد استشهاده زوجها ، حمية لها ورعاية لليتامى .
والارملة الثالثة - هي السيدة حفصة بنت عمر - استشهد
زوجها وعرضها أبوها علي بن بكر فاعتذر ، وعرض زوجها علي
عثمان فاعتذر ، فحرم النبي عمر وتزوج من حفصة .

السبب الثاني :

سبب سياسي - استطاع به النبي ﷺ أن يؤلف قلوب
عدائه الذين حاربوه خوفاً على مراكزهم الاجتماعية .
لقد صاهرهم النبي فصر ما في قلوبهم من حقد على
النبي وعلى دعوته .

تزوج من السيدة أم حبيب بنت أبي سفيان .
وتزوج من السيدة صفية بنت حيي بن أخطب ملك اليهود .
وتزوج من السيدة جويرية بنت سيد بني المصطلق .

وقد أجمع المؤرخون أن هذا الزواج قد فعل ما لم تفعله
عروب الصغرية - فقد ألف القلوب التي طالما حقدت على
الاسلام وعلى نبي الاسلام ، فدخل أقوامهم في دين الله أفواجا (١)

(١) معلوم من دراسة التاريخ أن زواج النبي من السيدة
صفية بنت حيي لم يؤت الثمرة التي رجحها النبي من الزواج - وهي
داية قومها من اليهود .

السبب الثالث :

سبب تشريعي . أراد الله به أن يكون النبي هو أول من يطبق الأمور المحرجة من الشريعة على نفسه أولاً . فعندما ألقى الإسلام نظام النبي أراد الله أن يحمو كل الآثار التي كانت تترتب عليه . وأم هذه الآثار أن العرب كانت تحرم على الرجل أن يتزوج من مطلق متبناه ، فأمر الله نبيه أن يتزوج من السيدة زينب بنت جحش - بعد أن طلقها زوجها - زيد بن حارثة - الذي كان النبي تبناه قبل النبوة - وهو أصعب زواج على النبي ﷺ لما أناره من كلام المنافقين .

ولكن الله هو الذي ووجهه . قال تعالى :

« فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ، لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعياتهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ، ١٢٧ الأحزاب »

• • •

السبب الرابع :

هو أن زوجات النبي ﷺ كن مدرسات في جامعة النبي

ﷺ يأخذن عنه ما يتعاق بالمرأة من أحكام شرعية ، ويعلمن
 نساء المسلمين . وقد فرض الله على نساء النبي أن يلازم من بيت
 النبي ليتعلمن منه ما ينزل من السماء ، ثم يعلمن للناس . قال تعالى
 « وإذا كرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ،

٢٣ الأحزاب

• • •

مشيئة الله .

وقد شاء الله أن لا يشغل نساء النبي بالحمل والولادة وتربية
 الأطفال ، حتى لا ينشغلن عن الرسالة — لقد كان نساء النبي
 صالحات للحمل ، وبعضهن أنجبت أطفالا قبل الزواج من النبي
 والنبي كان صالحا للإنجاب ، وقد أنجب بالفعل قبل الزواج ممن
 لقد أنجب من السيدة خديجة ، وورثه الله بإبراهيم من السيدة
 مارية القبطية .

فما مرع — دم حمل نساؤه منه — ﷺ — ؟ لانه زواج
 رسالة يا نجيب .

نجيب : الآن عرفت حكمة الله البالغة من زواج النبي ﷺ

ولو كان النبي يريد بالزوجات ما يزيد عن من زوجا قنا لعدد
الزوجات في سن الشباب .

الشيخ : النبي ﷺ لم يعدهد الزوجات إلا بعد الثالث
والخمسين من عمره . وقد قضى صدر شبابه مع السيدة خديجة التي
كانت تمثل في حياته دور الأم والزوجة .

نجيب : تعدد الزوجات لا يعيب الرجل - ولكن النبي
يعيبه أن يشغله هذا الزواج عن الأمور الكبيرة . أو يعيل قلبه
إلى زوجة فيظلم الباقيات ، ويضيع أولادهن .
الشيخ : أحسنت يا نجيب .

لقد كان النبي ﷺ - نموذجاً للعامل المطلق بين نسائه .
ولو درسنا التاريخ لوجدنا أن فترة تعدد الزوجات في حياة
النبي هي فترة الجهاد المقدس فقط .
وهي الفترة التي انشغل فيها النبي في كل لحظة من حياته
بالدفاع عن دولة الحق وتثبيت أركانها . ويكنكم يا أولادى أن
تقسموا حياة النبي إلى أربعة مراحل متميزة :
أولاً : مرحلة الشباب :

لا تعرف العفاف .

فلو عاش كما يعيش غيره ما عاب أحد عليه ذلك ولما كان الله
أراد عصمته وطهارته في مرحلة الشباب التي تفسر شخصية
الإنسان وتكشف معنائه .

...

ثانياً : الزوج الكريم .

المرحلة الثانية في حياة الرسول - ﷺ - من الخامسة
والعشرين ، إلى الثالث والخمسين .

وكان النبي فيها زوجاً لامرأة واحدة .

كانت تكبره بخمسة عشر عاماً .

وتزوجها ثلثاً .

ومع ذلك لم يتزوج عليها وفاء لها واكتفاء بها ولم يكن
هناك مانع عرفي من تعدد الزوجات .

فلما ماتت ظل النبي بلا زوجة خمس سنوات .

وانتهت مرحلة الشباب وجاءت الشيخوخة .

المرحلة الثالثة :

مرحلة الجهاد المندس .

من الثالث والخمسين إلى الواحد والستين . هي مرحلة الجهاد

والتعب .

وهي المرحلة الوحيدة التي عدد النبي فيها الأزواج . مع كثرة

انفصاله وجهاده .

• • •

المرحلة الرابعة :

من الواحد والستين إلى أن نفي بالرفيق الأعلى . وهي

مرحلة النصر والرفوه والمعاهدات .

لقد تم فتح مكة وسقطت دولة الأصنام إلى الأبد .

وبدأت ثمار المعارك تدنو قطوفها .

وأوشك النبي أن يستريح بعض الشيء .

ولكن هذه المرحلة حرم الله فيها على النبي الزواج .

لأن الزواج قد أدى رسالته .

قال تعالى :

ولا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج
ولو أعجبك حسنهن ، الأحزاب ٥٧

نجيب : سبحان الله . . . ١١

المرحلة الآن ينشغل فيها الإنسان عن أهله ، هي وحدها

مرحلة تعدد الزوجات . ١٤

لقد أيقنت أنه زواج رسالة . .

ألف القلوب وجمع الأمة .

• • •

وائل : ليت فضيلة الشيخ يحدثنا عن بيت النبي ، الذي جمع

تسع نساء .

عارف : إن شاء الله - بعد تناول الطعام .

يجلس الجميع على الطعام يتعاضدون أطراف الكلام .

وتدور الذكريات بما فيه العظات .

فلتترك الجماعة ساعة أو بعض ساعة .

وائل : باق عليك يا شيخ عارف .

هل كان النبي في مثل هذا النعيم ؟

الشيخ : د يبتسم ويقول : روت السيدة عائشة - رضى الله عنها - أن بيت النبي - صلى الله عليه وسلم كان يقضى الشهر والشهر ولا يوقد في البيت نار على طعام . الحديث يتجمله في صحيح مسلم ،

نجيب : على أى شيء يعيشون ؟

عارف : على الماء والتمر .

وقد روت السيدة سلمى - امرأة أبي رافع - رضى الله عنها أن الحسين بن علي ، وعبد الله بن جعفر . وعبد الله بن عباس - رضى الله عنهم - طلبوا منها أن تصنع لهم طعاماً ، كان النبي يحب .

فقات لهم : يا بني .. إذن لا تشتهونه اليوم .

فقامت وطحننت الشعير ، وجمعت منه تخبز ، وتضع لهم الزيت فوقه . ثم وضعت لهم الفلفل وقدمته لهم ، وقالت : كان النبي يحب هذا الطعام . رواه الطبري ،
يا أبنائي :

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينام على حصير فيؤثر على جنبه الشريف

فلما رآه عمر بن الخطاب بكى .

وقال : إن كسرى وقيصر يتأمان على الحوير .

فقال النبي الكريم :

هؤلاء أقوام يجعل الله لهم الدنيا .

• حياة الصحابة ج ٢ ص ٧٦٠ ،

• وكان النبي يبسط رداءه للضيف ، ويبش في وجهه .

• نجيب : كل شيء في حياة النبي يؤكد صدقه .

• عارف : لقد بدأ النبي دعوته ، وهو زوج لاغنى امرأة في

• قريش .

• فبذل ما لها في سبيل دعوته .

• ولما شرع الإسلام الزكاة ، والصدقة . وهما مصدران

• واسعان لأثروة .

• نرى النبي صلى الله عليه وسلم يحرم أموال الزكاة والصدقة عليه وعلى

• آل بيته .

• روى البخاري عن أبي هريرة — رضى الله عنه — أن

• الحسين بن علي — رضى الله عنهما — أخذ تمرًا من تمر الصدقة

وهو طفل - فجعلها في فيه - فقال النبي ﷺ له : (كخ كخ)
ليطرحها . ثم قال : « إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة » .
وعن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ وجد
قمرة فقال : لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لا كانتا .
« متفق عليه » (١)

نجيب : عليك السلام يا رسول الله .
جعلت غرم الإسلام وتكاليف دعوته عليك وعلى آل
بيتك .

وجعلت غم الإسلام لامتك .

عارف : صدقت وأوجزت يا نجيب .
لقد فتح الله كنوز الأرض للنبي ﷺ وجاءته الغنائم من
كل مكان .

ومع ذلك أصر النبي ﷺ على عيشة الكفاف .

(١) كتب الدكتور يوسف القرضاوي بحثاً وافياً في هذا
الموضوع في كتابه « فقه الزكاة » ج ٢ ص ٧٢٨

مع أنه رئيس دولة وقائد أمة .

ودينه لا يحرم على الناس متاع الحياة الشريف .

لقد تحدث القرآن عن هذه الفضيلة بجلاء .

فمتدما رأى نساؤه أن كل بيوت المسلمين قد وسع الله عليها

وأصبحت ذات مطعم شهى وملبس كريم .

إشتاقن نفوسهن إلى حظون من المتاع .

وكان مطالبهم عادلا .

ومن طبع النبي ﷺ أن يحترم بشرية الإنسان .

ومع ذلك وقف النبي من طلب نساؤه موقفاً شديداً .

واعتزل النبي نساؤه شهراً كاملاً .

ونزل القرآن يؤيد حزم النبي .

وخير نساء النبي بين البقاء في بيت النبي على حالهن وبين

الطلاق . قال تعالى :

يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا

وزيادتها فتعالين أمتعن وأسرحنكن مراعاً جميلاً . وإن كنتن

تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن

أجر أعظيما ، الأحزاب ٢٩

وائل : وماذا لاختار نساء النبي ؟

عارف : جميعهم إختار الله ورسوله .
تجيب : إن بعض نساء النبي كن بنات ملوك وأمراء وكن
بعضن في دلال في بيوت آباؤهن .

ولكن شرف جوارهن للنبي أعظم من كل متع الحياة .

عارف : لم يكن نساء النبي وخدمهن في هذا الشظف من

المعيش .

لقد إمتد إلى بيت السيدة فاطمة الزهراء أيضاً .

لقد أدارت الرحي بيدها لطحن الشمع ، حتى أمرت

الرحي على يدها .

وعندما سألت النبي خادماً يساعدها . قال لها : لا أعطيك

وأدع فقراء المسلمين .

ثم ضمها النبي إلى صدره عندما رأها تدمع ، وقال لها : الا

أذلك على خير من ذلك ؟

سبحي الله ثلاثاً وثلاثين .

واحدى الله ثلاثاً وثلاثين .

وكبرى الله أربعاً وثلاثين .

فهذه مائة خير لك من الدنيا وما فيها .

وانل : من يبحث عن الجنس والتمتع يهد لها ويملا حياة
نساءه بالترف حتى ينعكس ذلك على من دلالا واضرة في وجهين .
واسكن همة النبي أعظم واهدافه من الزواج أكبر .
واسكننى أسأل :

هل كان نساء النبي ﷺ تحدث بينهن ما يحدث بين النساء
من العيرة ؟

عارف : تنافس نساء النبي على القرب من قلبه ، والتسابق
على الفوز برضاه أمر مشروع .

لان محاولة القرب إلى قلب الزوج - النبي - ولا اكتساب
مردته عمل عظيم . وهو السبب فيما بدأ منهن من غيرة ولكن
النبي كان يعالج هذه الأمور بحكمة بالغة .

إن قيادة الجيوش الكبيرة أهون من قيادة تسع ضرائر
يتنافسن على رجل عظيم .

لقد كان فيهن الزوجة المعجزة ، والشابة الفتية .
كان فيهن الأرملة الفقيرة ، ومنهن بنات الملوك .
ومع ذلك كان عدل النبي يشهر كل زوجة بأنها أقربهن إلى
قلب النبي ﷺ .

كان يعدل بينهن في العطاء ، وفي المبيت حتى في الإقسامات .
فلم تشعر الزوجة الفقيرة بأنه يكرم الأخرى لأنها بنت أمير
أرملك .

ولم تشعر بنات الأمراء والعظماء أنه يفضلهن على الأراذل
الفقيرات .

حتى ميل القلب — الذي لا دخل للإنسان فيه . . . كان
النبي يستدرقه عنه محاسن نفسه لنفسه عليه .

لقد كانت هيبة النبي كبيرة في قلوب أصحابه .
حتى كان بعض الصحابة : لا يتولى على النظر للنبي من فرط
هيبته . وقد قال البصري :

كأنه وهو فرد من جلالته

في عسكر حين تلقاه وفي حشم

لذلك كان النبي يحاول أن يجعل من نفسه الزوج محمد ولا يجعل
نفسه في البيت الزوج النبي .

وذلك حتى تأخذ مساوئه حقون .

فكان يسمح لمن بالمزاح والمداعبة فيما بينهم وهو يتسامح .

تروى السيدة عائشة - رضي الله عنها - أنها أتت النبي

بمخبريرة فيها طعام قد طبختها له ، وطابت من السيدة سودة

بنت وممة أن تأكل منها . فلما امتنعت قالت عائشة : إما أن

تأكلى وإما أن ألتخ وجهك بالطعام .

فلما أصرت سودة على عدم الطعام طلت عائشة وجهه سودة

بالطعام .

فضحك النبي - ثم أخذ قطعة من الطعام وقال لسودة :

الطمي وجهها . وضحك النبي .

فلما سمعن صوت عمر قال النبي لهما : افسلا وجهيكما .

قالت عائشة : فإزات أهاب عمر طيبة النبي له .

ورواه ابن عساکر ،

بمثل هذا الأسلوب استطاع النبي أن يجمع قلوبهم .

وكان يراعى متطلبات سن كل واحدة منهن .
وظروفها النفسية .

فيسابق عائشة - رضى الله عنها - في سفر فقتلته . ثم
يسابقها فيسبقتها . فيقول لها : هذه بتلك . (رواه أحمد)

تدخل «ساجدة» روضة الشيخ وتقدم بعض الفاكهة
وتطلب من الشيخ أن يخرج معهم إلى شاطئ النهر
ويجيب الشيخ طابها .

واتل : «يتسم ويقول» : شيء جميل أنك تلبى مشورة أم
مشام .

حارف : لقد كان النبي يستشير نساءه في الأمور الكبيرة .
فمنذ ما عزم النبي ﷺ على الرجوع من صلح الحديبية ،
ولم يدخل مكة ، ولم يعتمر ، أمر الناس أن يجعلوا من الإحرام
فيحلقوا أو يقصروا . عند ذلك أخذ الغم قلوب المسلمين ،
لمنم أداتهم العمرة ، فجعلوا يتباطؤون في التنفيذ ، آملين أن
يسمح الله لهم بدخول البيت الحرام .

ودخل النبي على أم سلمة - زوجته - وقال لها :
ملك الناس ...

أمرتهم فلم يفعلوا .

قالت : أخرج أمامهم وأحاق رأسك فلن يقبضوا .

فخرج النبي وحاق شعره . فسارع الجميع إلى الحلق .

نجيب : هذا تكريم عظيم للمرأة .

عارف : ليت نساءنا يدرسن عطاء الإسلام للمرأة .

الإسلام حررها من رق الجاهلية .

حررها من الواد .

حررها من قيود المجتمع الظالم ومن الجهل .

جعل تعليمها هو مجال انطلاقها نحو معرفة نفسها .

وكان النبي يجاس ليدرس لهن ، ويجيب على أسئلتهن .

عن أم سلمة - زوجة النبي ﷺ - أن أم سليم قالت :

يا رسول الله : إن الله لا يستحي من الحق .

هل على المرأة من غسل ، إذا احتلمت ؟

قال : نعم . إذا رأت الماء .

- أي إذا رأت بعد اليقظة ما يؤكد احتلامها .

قالت - زوجة النبي - فضحكتم . وقلت : أتحتلم المرأة ؟

فقال النبي : نعم .

وعندما اقترحت امرأة على النبي أن يتخذ مشيراً ، وافق
النبي على ذلك . فتح الباري ج ١ ص ٤٤٩

وقد جعل النبي المسجد هيداناً لتعليم النساء .
لذلك . . . نهى النبي الأمة عن منع النساء من المساجد .
قال - صلى الله عليه وسلم - لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن
تفلات ، رواه أبو داود ،

نجيب : ما معنى تفلات ؟

عارف : أي غير متبرجات بريئة .

ساجدة : لقد تم اعتمادنا للخروج .

تخرج الأسرة في محبة وهناء ،

ومودة وصفاء .

الفصل الثالث

- قاتلوا أئمة الكفر .
- الإحصائيات أصدق .
- أين ذهب المغول .
- انتشار الإسلام في آخر .

مع جمال الريف ، وهو انه القليل جالس الشباب الكرام ،
ينعمون بحلو الكلام . ويطلبون من الشيخ لإطالة المقام .
فإلى بستان نجيب في حياه ، يجمعنا الحب والوفاء .

وائل : عرفنا في لفائنا السابق عظمة النبي في بيته .
فهل يمكن يا فضيلة الشيخ أن تناقش مشروعية القتال في
الإسلام ؟

الشيخ : « مبتسما » ماذا تعنى يا وائل ؟
وائل : والله يا فضيلة الشيخ لأننى الآن أو من باقى إيماناً
بلا حدود .

وأؤمن بنبوته محمد - ﷺ - وعن يمين .
وطهر الله قلبى من كل شئ قرأته للمستشرقين .
لكنتنى أطاب المزيد من الحق .

الشيخ : أنت تعرف يا وائل أن النبى ﷺ جاهد كثيراً
بالحجة والبرهان ، ليؤتق العقل البشرى .

وكان يهدف بذلك إلى تحرير الإنسان من عبودية غير الله .
ولكن زعماء الشرك أفزعهم الأمر ، وخافوا على مناصبهم

ومصالحهم . فرففوا السيف في وجه النبي ، وخذلوا أباؤه ،
والجأؤهم إلى الحجرة ، وصادروا ديارهم وأموالهم .

ويرمونها . . لم يكن في استطاعة النبي - ﷺ - سوى أن
يواسي أصحابه ويطالبهم بالصبر ويبشروهم بالفرج .

هاجر النبي . . وهاجر أصحابه . . ووجدوا في المدينة تربة
خصبة وقلوباً صافية .

وانتشر الإسلام . .

وعلت كلمة الله . .

ويرمونها أذن الله للمستضعفين أن يفتصروا .

قال تعالى: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . . وإن الله على

نصرهم لقدير .

الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا :

والجح

ربنا الله .

فالأية الحكيمة وضحت سبب الفرض القتال .

السبب الأول :

أن المسلمين مقاتلون من جهة أعدائهم طوال مدة إقامتهم بمكة .

ثانياً : أنهم ظالموا :

ومن حق المظلوم أن يدافع عن نفسه وينتصر لها .
ومن شيم أصحاب النفوس الكريمة ترفعهم عن الاستكاثرة
والمدلة .

قال تعالى في وصف المؤمنين :

والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ..

وجزاء سيئة سيئة مثلها .. فن عفوا وأصلح فأجره على الله .
لأنه لا يحب الظالمين .

ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما
السبيل على الذين يظلمون الناس ويบกفون في الأرض بغير الحق ،
٣٩ إلى ٤٣ الصورى

فانتصار المظلوم لنفسه واجب وكرامة .

نجيب : والآية تدبر أيضاً إلى العفو « فن عفوا وأصلح
فأجره على الله ، .

الشيخ : العفو الذى تعنيه الآية هو عفو المنتصر الراضى
بالاصلاح ، وليس عفو المستضعف المستكين .

والانتصار للنفس والنفوس عند المقدرة أمران لا يستطيعهما
المستضعف من الناس .

وعندما انتصر النبي على أهل مكة عفا عنهم عفو القادر
وقد طلب القرآن من المسلمين أن يقاتلوا من أجل نصرة جماعة
من المسلمين يعيشون في مكة - تحت ظل سيوف الشرك -

قال تعالى : وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين
من الرجال والنساء والولدان - الذين يقولون ربنا أخرجنا من
هذه القرية الظالم أهلها . واجعل لنا من لدنك ولياً . واجعل لنا
من لدنك نصيراً ٧٥ النساء

إنهم لا يملكون إلا القتال .

فعلى الأمة أن تقاتل من أجل حمايتهم .

فاقتال هنا دفاع عن النفس . دعوى الله أن يكف بأس
الذين كفروا ٨٤ النساء

وكف بأس الكافرين هو الغاية من القتال .

• • •

السبب الثاني :

هو الدفاع عن الدعوة الاسلامية وحمايتها .
وهو سبب دائم في كل عصر . لدوام كيد أعداء الاسلام له
ولقد طلب الاسلام - يا رائل - من المسلمين أن يقاتلوا
أئمة الكفر - الذين ينتفعون - مادياً أو اجتماعياً - من الكفر .
قال تعالى : « وإن تكفروا أيما كفرا من بعد عهدهم . وطعنوا
في دينكم » فقاتلوا أئمة الكفر لأنهم لا إيمان لهم لعلمهم ينتفون «
١٢ التوبة

وقتل أئمة الكفر بهدف إلى تحطيم الحواجز التي وضعوها
أمام دعاة الحق .

فإذا تحطمت الحواجز ، ودخل الدعاة إلى الحق بلاد الكفر
والتحموا بالجاهل ، فإن الجاهل بعد ذلك للعقل فقط .

* * *

وقد دامت تجربة الهدنة - التي نص عليها صلح الحديبية بين
المدينة ومكة - أن الاسلام دين دعوة واقتناع .
لقد توقف القتال عامين فقط بسبب الصلح .

وحل خلالها جيش الدعوة والإقناع وكان جيش الدفاع والردع
فكانت النتيجة أن تضاعف عدد المسلمين خمس مرات في عام
— عن المدد الذي دخل الإسلام في تسعة عشر عاماً —
ظل لليهود —

نجيب : زجرو توضيح هذه المسألة يا شيخ عارف .
الشيخ : لو استعمانا لفة الأرقام يتضح الأمر .
المدة من بدء الدعوة الإسلامية إلى أن تم صلح الحديبية
هي تسعة عشر عاماً .

ومع ذلك كان عدد المسلمين — الذين خرجوا مع النبي —
العمرة — يوم صلح الحديبية — حوالي ألفين فقط .
بدأت الهدنة واستمرت عامين ، ثم تقضت قریش المماثلة
فقام النبي - ﷺ - بفتح مكة .
وكان معه عشرة آلاف مقاتل .

معنى ذلك أن عدد المسلمين قد تضاعف خمس مرات في
عامين . نتيجة لتوقف الحروب وعمل الدعوة .
نجيب : هذه المعادلة الحسابية تسكني وحدها لدفع شبهات
المستشرقين .

وائل : فلماذا انتشر الإسلام بالسيف .
الشيخ : أعجبني - يا وائل - قوله المرحوم عباس محمود
المقاد :

« لقد انتصر الإسلام على السيف ولم ينتصر بالسيف » .
شيء : ما الفرق بين انتصر بالسيف . . أو انتصر على
السيف ؟

الوالد : لا يا شيما . .

الفارق كبير . . فمعنى العبارة : أن الإسلام انتصر على
السيوف التي رفعت في وجهه وحطمها .

لأن المهركين رفعوا سيوفهم ثلاثة عشر عاما في وجه
الإسلام قبل أن يشرع القتال .

وأنت يا وائل وقعت في خطأ وقع فيه كثير من الدارسين
للإسلام .

وائل : ما هو يا شيخ عارف ؟

الشيخ : يخطئ كثير من الناس بين الفتوحات الإسلامية وبين
انتشار الإسلام .

مع أن الفارق كبير.

الفتوحات الإسلامية مسألة عسكرية .

سيف أمام سيف .

تستهدف تحطيم الحواجز ، وفتح الباب أمام الذمعة .

أما إنتشار الإسلام فمسألة عقلية قاسية .

إذا نجح الجيش الإسلامي في تحطيم الحواجز فقد فتحت البلد

المسلمين .

فيدخل الذمعة ، والتجار فيملس أصحاب البلاد أنفسهم

ملاح دين جديد .

جديده في منهجه وسلوكه .

جديد في كفالاته حرية أصحاب البلاد .

جديد في تكافله الإجتماعي ، وإحترام الفقير .

حرم الربا ، وصوى بين الناس ، بل أعطى للأقليات الدينية

التي تعيش في وعاءه من الحقوق أكثر مما أعطى للمسلمين .

وائل : اعتقد أنك تقصد : مثل ما أعطى للمسلمين .

الشيخ : لا يا وائل .

لقد قرأت لأحد المستشرقين هذه الشهادة .

واستدل عاينها باستدلال قوى .

فقال : إن الإسلام حرم على المسلمين ملكية الخمر والخنزير

بما أباح لأهل الكتاب ملكية الخمر والخنزير .

فقد أعطاهم حق ملكية الخمر والخنزير بينما حرمهما على

المسلمين . فن قتل خنزيراً لنصران ، وجب عليه التعويض

لعادل .

ومن سفك خمرآ ، أو قتل خنزيراً لمسلم لا يجب عليه

تعويض .

لقد رأى اصحاب البلاد أنفسهم أمام صـورة الإسمـلام

صحيحة ومماحته .

وقد تزوج المسلمون من نساء أصحاب البلاد - الكتابيات -

يرغمهن على ترك دينهن ، بل كفلوا لهن حرية العقيدة ،

ممارسة العبادة ، وراعوا حقوق النسب - مع إختلاف الدين -

بحرموهن ودأهلن من غير المسلمين .

واتل : إن سلوك المسلمين العملي أغناهم عن الخطب الطويلة

والتصانيد الرانمة لأن دلالة الفعل أقوى بكثير من دلالة
الكلمات .

الشيخ : لقد إنتشر الإسلام - يا وائل - في كثير من
البلاد التي لم يفتحها جيش المسلمين .

يقول الأستاذ سامي محمود في كتاب إنتشار الإسلام

ص ٨١ :

وقد نجح المسلمون في أوروبا في الدعوة إلى الإسلام وانتشر
عدد من مفكري الإسلام في دول مختلفة من أوروبا وكانت
دعوتهم تأتي عن طريق الفكر والمنطق والمجادلات العلمية .

وقد نجح عدد من جنود الإسلام المجهولين في الدعوة
للإسلام . . . وكانوا هم أنفسهم القدوة الحسنة للإسلام .
كما إنتقلت ملامح الإسلام إلى أوروبا عن طريق الأفراد
والمجاعات الذين عاشوا في أسبانيا تحت ظل الحكم الإسلامي .

ويقول سيادته أيضاً

والمسلمون في بلجيكا من أقوى العناصر وأشدهم إيماناً وعملاً
على حياة المسلمين المغتربين في أوروبا .

يا وائل : . . لقد انتشر الاسلام عن طريق التجار
الصادقين ، وانتشر عن طريق مخالطة المسلمين مع غيرهم من
أهل البلاد .

بينما فتحت بعض البلاد عسكرياً ، وحكمها المسلمون قروناً
طويلة ، وخرجوا منها وبقي أهلها على دينهم .

لم يرغمهم المسلمون على ترك دينهم .

فتلاً . . بلاد الأندلس ، فتحها المسلمون ، وبقيت تحت
حكم المسلمين قرابة ثمانمائة سنة ، وخرج المسلمون منها ، وبقي
أهلها على النصرانية .

فبلاد انتشر فيها الإسلام ولم تفتح عسكرياً .

وببلاد فتحت عسكرياً ولم ينتشر فيها الإسلام (١)

(١) يقول د دوزي ، عن آثار فتح المسلمين الأندلس : كان
الفتح العربي من بعض الوجوه نعمة على إسبانيا ، فقد أحدث
فيها ثورة اجتماعية هامة ، ونفض على كثير مما كانت البلاد تعانيه
منذ قرون ، وتحطمت سلطة الأشراف ، والطبقات الممتازة ،

ثم كان الفتح عاملاً في تحسين أحوال الطبقة المستعبدة ، إذ كان
الإسلام أكثر قهضيداً لتحرير الرقيق من النصارى .

ويقول الأستاذ (لاين بول) :

« أنشأ العرب حكومة قرطبة التي كانت أعجوبة العصور
الوسطى ، بينما كانت أوروبا تتخبط في ظلمات الجهل ، فلم يكن
سوى المسلمين من أقام بها منائر العلم والمدنية »

أما المؤرخ الأمريكي وسكوت ، فيقول :

« وكان يسمع للورع المنتصب أن يزاول شوائره دون تدخل
والأجبار يزاولون شئونهم في سلام . أما أقوال كتاب النصارى
التي ينسبون فيها للعرب أدفع المثالب ، فهي محض افتراء ومبالغة ،
راجع « دولة الإسلام في الأندلس للأستاذ محمد عثمان »
صفحة ٦٣ وما بعدها .

وهذا يؤكد أن الفتح الاسلامي شيء،
وانتشار الإسلام شيء آخر .

وقد ذكر صاحب قصة الحضارة، ج ١٤ ص ٢٦٣ :
بعض العوامل التي ساعدت على انتشار الاسلام في البلاد
التي فتحها .

يقول المؤلف عن سماحة الاسلام مع رجال الدين المسيحي
واتباعهم :

« إن البطارقة ظلوا على كراسيهم بأنطاكية وبيت المقدس
والاسكندرية ، وذلك بفضل سماحة المسلمين .
ويقول : غير أن المسلمين كانوا أكلن من المسيحيين —
اصحاب البلاد .

فقد كان المسلمون أحفظ عهداً وأكثر رحمة بالمغلوبين ،
وقلباً ارتكبوا - في تاريخهم - من الوحشية ما ارتكبه المسيحيون
عندما استولوا على بيت المقدس عام ٩ - ١١ ميلاديه (١)

(١) قصة الحضارة ج ٣ ص ٢٨٠

أما عن نظام القضاء الاسلامي في البلاد المفتوحة فيقول :
وقد ظل القائلون المسيحي يستخدم طريقة التحكيم الإلهي ،
بالنار أو بالماء ،

بينما كانت الشريعة الاسلامية تضع طائفة من المبادئ القانونية
الواقية ، يقوم بتطبيقها قضاة مستقرون من المسلمين (١)

واتل : ما معنى طريقة التحكيم الإلهي ؟

للشيخ : كانوا يلقون المتهم - مكتوفاً - في الماء أو في النار
فإذا غرق أو احترق قالوا إنه ظالم .

وإذا نجا .. قالوا : إنه مظلوم .

ولكن الاسلام - عندما فتح هذه البلاد - حكم القواعد
القانونية النابتة (٢) العادلة في الحكم بين الناس .

« قصة الحضارة الأستاذ ول ديورانت ص ٢٨٣ ج ١٣ »

(١) المرجع السابق ج ١٣ ص ٢٨٣ .

(٢) ملامح القضاء الاسلامي :

١ - نصب القضاة وجعلهم سلطة مستقلة عن الحاكم العام =

٢ - أيضاً - بجوار القضاء - ولاية دفع المظالم - د عمر
وأصول السياسة ص ٢٤٦

٣ - جعل القضاء سلطة فوق الأسماء - يراقبهم ويحتكمون
إليه - بل حتى الخليفة إذا تحققت القضية ضده فمن سلطة
القضاء أن يحكم عليه . د الدولة القانونية للأستاذ الدكتور منير
البياتي ص ٤٠٤

٤ - وضع دستوراً للقضاء . وقدمت رسالة عمر بن الخطاب إلى
أبي موسى الأشعري هي دستور القضاء الإسلامي د ابن خلدون في
المقدمة ص ٢٢٥

٥ - نظم الإسلام جهازاً قضائياً لمراقبة القضاء نفسه - فجعل
من حق هذه السلطة أن تنقض أحكام القضاة إذا جاءت مخالفة
للكتاب والسنة والقضاء في الإسلام للدكتور سلام مذكور ص ٢٢
وقد ذكر الأستاذ الدكتور منير البياتي ضمانات نزاهة القضاء
الإسلامي في كتابه ص ٢١٤ وحصرها في نقاط ، أوجزها لك .
استقلال القضاء وأسس اختيار القاضى والقواعد القانونية
الناطقة وحماية الناضى من العزل - إلا لسبب شرعى .
د الدولة القانونية للدكتور منير البياتي

نجيب : الآن عرفنا الفارق بين الفتوحات الاسلامية وبين
انتشار الاسلام .

وعرفنا العوامل التي ساعدت على سرعة انتشار الاسلام ،
سواء منها ما يتعلق بالدعوة الاسلامية ، وما يتعلق بأخلاق
المسلمين .

الشيخ : يا نجيب : إن شيئاً واحداً يمكن ان نرد به
على المستشرقين .

نجيب : ما هو يا فضيلة الشيخ ؟

نعرف أن مكة حاربت الاسلام .

أما المدينة فقد فتحت أبوابها أمامه .

فهل يمكن أن يقال : إن الاسلام انتشر بالسيف على

أهل المدينة ؟

نجيب : لا لقد ساروا إلى الدعوة بمجرد أن أدركوا

عظمتها .

ولكن . . لماذا شاء الله - سبحانه - أن يجعل من

أهل مكة من عمادى الإسلام ، وهم أقرب الناس للنبي وعزه
يرفع ذكركم ؟

الشيخ : يا نجيب استمعت إلى تامل لطيف للشيخ محمد
متولى الشواوى قال فيه :

لو كان أهل مكة هم أوسع الناس إيماناً . . . لقال خصوم
الإسلام : إن العصية لمحمد - ﷺ - هي التي خلقت
الإيمان بمحمد .

ولكن عداة أهل مكة له ، ومناصرة أهل المدينة جعلت
الكل يقول : إن الإيمان بمحمد - ﷺ - هو الذى خلق العصية
لمحمد - ﷺ -

نجيب : الله - الله - الله .

هذا كلام عظيم . . .

واتل : يا فضيلة للشيخ .

نجيب : انتظر يا واتل . . . فنحن فى البستان . . . فلا بد
أن نأكل الفاكهة أولاً . . . ثم استمتع بحديث الشيخ .
الشيخ : وددت لو أعددت لنا العداى على الفهم ، فإنه

أطيب ، واسكن . . أين هشام ؟

تعقيب : هشام يجلس على النهر يصطاد بعض السمك .
رجلس الجميع يا كلون الفواكه هانئين
في بهجة وفرح وسرور ومرح وعاد الشيخ
إلى الشباب في سؤال وجواب .

الشيخ : يا وائل : أي قوة في الأرض الآن تفرض على
المسلمين أن يتسكروا بدينهم ؟

وائل : لا ، سوى حب المسلمين الاسلام .

الشيخ : الأعجب من هذا :

أن الصليبيين الذين أغاروا على بلاد الاسلام اعتنق بعضهم
الاسلام ، وبعضهم انسحب من المعركة ، بعد أن اقتنع بعقم
الدوافع التي جاء يحارب من أجلها .

وقد تمت ملاحم الاسلام في نفوسهم فنقلوها إلى بلادهم ،
فظهرت فكرة الإصلاح الديني ، على يد « مارتين لوتر » في
أوربا . (١)

(١) انتشار الاسلام للأستاذ سامي محمود

حضر هدام يحمل مجموعة من السمك بينما استقبله والده بابتسامة وطلب إشعال النار ليطهى السمك ، وتناول الطعام .

الشيخ : هل دوست يا وائل غزو لتتار ابلاد الاسلام ؟
وائل : لقد دروا الحضارة وخرّبوا كل شيء ، وأحرقوا الكتب ، وأسقطوا الخلافة في بغداد .

الشيخ : يؤيدك في هذا ما قاله صاحب كتاب قصة الحضارة فقد قال :

ولسنا نعرف أن حضارة من الحضارات - في التاريخ كله - عانت من التدمير الفجائي ما عانت الحضارة الاسلاميه هل يد المغول .
قصة الحضارة ج ١٢ - ص ٧٨٠ ،

ومع ذلك فإن الاسلام كان أقوى منهم .
كان أقوى منهم عندما هزمهم عسكرياً في موقعة عين جالوت .

وكان أقوى منهم عندما صابغهم بصبغته ، وهداهم إلى اتباعه واعتناق عقيدته .

وائل : « متعجباً ، المغول دخلوا الاسلام ١٤

الشيخ : لاقرأ يا وائل ما كتبه الأستاذ سامي محمود :

« لقد استطاع المغول - الذين دخلوا الاسلام - أن يجبروا أمراء روسيا على أن يدفعوا الجزية لهم ، ويقسموا بين الطاعة للمسلمين .

« استطاع « قيورلنك » فيما بعد أن يوطد دعائم الحكم الإسلامي في جنوب روسيا ، وآسيا الوسطى ، وحوض بحر القزوين .

« أصبحت سمرقند (في القرن الخامس عشر ميلاديا) عاصمة لامبراطورية إسلامية ضخمة .
« انتشار الاسلام - محمود سامي ،

يا وائل . . . كان الإسلام أقوى من كل شيء حتى من المغول - الذين لا يعرف العالم شراً منهم - لقد صهرهم الاسلام .

وجعلهم جنوداً لخدمته .

واائل : لقد عاجلت بحديثك كل شيء في قلبي .

ولا أسي لك أنك أرشدتني إلى الله .

وأثبت براءة أمي ع التي عشت حياتي أحقد عليها (١) .

فإلى اللقاء لمن كان في العمر بقية .

صافح وائل الشيخ، والدمع
يلا عينيهِ بينما استعد الشيخ
لمغادرة الريف ، سودها شباب
القرية .

• • •

(١) القصة بتمامها في كتاب ، هذه عقيدتك يا ولدي ،
واللقاء الأخير ،

أهم المراجع

القرآن الكريم

تفسير الفخر الرازي ، والقرطبي ، وابن كثير .

عمدة القاري لشرح صحيح البخاري (الميني) .

حاشية ابن عابدين ، طبقات ابن سعد ، أسد الغابة في معرفة

الصحابة .

حياة الصحابة ، المعارف لابن قتيبة ، نهاية الأرب في فنون

الأدب .

كتب حديثة

فقه السيرة للأستاذ محمد الفزالي .

حقائق الإسلام وأباطيل خصومه . للمقاد .

الدولة القانونية للدكتور منير البيان .

إلى اللقاء مع الشيخ عارف

في الجزء الثاني من كتاب

هذا نبيك يا وادي